مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة



56

ليالٍ عربية

د. أحمد خالد توفيق

مقـــدمـة

(عبير عبد الرحمن) شخصية عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمـــال أو القـــوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لابد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمـــة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فـــكرة عـــن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لـــ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ...

إن (عبير) كريمة النفس ، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا فى رحلتها . سوف نعبر معها

عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل ـ ونحن معها ـ العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى ..



1 ـ ما أقسى الوحدة !

محاولات لا تنتهى من (شريف) لاستعادتها ، حتـــى بـــدأت تشعر بأنه ليس على ما يرام .. هذا الإصرار غير طبيعى ويعكس طفولة لا شك فيها ، أو ربما هو العناد .. الرجال يكشفون عـــن طبيعة طفولية مزعجة جدًا عندما ترفضهم المرأة ، حتى ليوشكوا على أن يرتموا على الأرض ويركلوها بأقدامهم ويبكوا ..

بصراحة .. لم تسأل نفسها قط إن كانت ترغب فى العودة لـــه أم لا . لقد استراحت لعملها وحياتها .. وبدا لها أنه من الممكن أن تستمر هكذا للأبد ...

ســـوف تربى ابنتها وتأخذها للمدرسة ، وفى المساء ســـوف تشرح لها ما استغلق عليها من دروس .. وسوف تراقبها تنمو يومًا بعد يوم ثم تزوجها وتعيش وحدها ، إلى أن يجدوها ميتـــة يومًا ما .. هذه هى حياتها كما خططت لها وكما لا ترى طريقًـــا آخر ...

على الأقل هى تملك نوعًا ساحرًا مـــن ســـبل الهـــروب هـــو (فانتازيا) .. فى النهاية عندما تموت ، سوف تقـــول لنفـــسها لحظة الاحتضار : إنها عاشت ألف حياة وحياة ... لقد عاشت فى

عمر واحد ما عاشه ألوف البشر وما لم يعيشوه أيضًا .. قليل من البشر من يفخر بأنه تواثب فوق الأشجار مع طرزان أو كان مع هانيبال فى حملته العظيمة .. هى فعلت .. هل كان هذا خيالاً ؟.. الخيال الذى تتألم فيه وتشعر بالبرد والنشوة والألم والشبع والرضا والتوتر ليس خيالاً بالضبط .. ما الواقع غير هذا ؟

لماذا يجب أن يوجد رجل فى هذا ؟

ابنته ؟.. يمكنه أن يرى ابنته إذا شاء .. لكنها تعرف الرجال .. سوف يحتضن الطفلة فى حنان ويغمرها بقبلاته ، ويبتاع لها لعبة أو لعبتين ، ثم ينسى كل شىء عنها بعد ذلك . عواطفهم خفيفة سطحية غير راسخة ... قد تكون الأنثى غامضة لا تعرف ما تريده حقًا ، لكن حبها أكيد وراسخ ...

ظلت تعتقد هذا حتى تلك الليلة .. تلك الليلة .....

* * *

كان هذا شهر رمضان ..

لقد تناولت بضع لقيمات هى السحور ، وبالطبع لم تأكل أمها معها لأن حالتها الصحية لا تسمح لها بالصيام . شربت كوب

الشاى الجميل ثم دخلت الفراش وقدرت أن صوت التسابيح من الزاوية القريبة سوف يوقظها عند الفجر ..

كانت نائمة بعمق تحلم بساحل أفريقيا والأسود كما كان ذلك الصياد فى قصة (العجوز والبحر) . سمعت صوت الشهيق العنيف .. بالطبع دخل هذا الصوت إلى عوالم الحلم ، ثم أفاقت لتدرك أنها فى فراشها الصغير الملاصق للجدار ، غارقة وسط الكتب طبعًا ، وأن الصوت قادم من الغرفة الأخرى حيث أمها ..

وثبت من الفراش ، وقد اضطرب قلبها لأن الدم تجمع فى قدميها .. لكنها تماسكت وهرعت إلى هناك ..

كانت الأم تشهق فى ذعر محاولة انتزاع أنفاسها من قبضة بخيلة لا تريد التخلى عن شىء ..

هاااااااااااااااااااااااااه !

الذعر فى العينين العجوزين .. ومن الواضح أنها لا ترى تقريبًا ...

لو لم يكن هذا منظر امرأة تموت فما هو ؟

هاااااااااااااااااااااااااه !

لم تعرف عبير ما تفعل ولا كيف تتصرف..

هكذا هرعت باكية وبقميص النوم والقدمين الحافيتين تركض فى الشارع. من مكان ما برزت جارة ومن مكان آخر برز أحد الشبان أقوياء البنية حافيًا بفانلته الداخلية .. هذا النمط الذى يربط ساعده بالضمادات ويبدو أنه جاء العالم ليحمل الناس متوفين أو مرضى .. سرعان ما تكونت مظاهرة صغيرة ويبدو أن هناك من طلب الإسعاف .. سوف يصل غدًا طبعًا لأن الخدمات قد تحسنت كثيرًا ...

الأم تختنق .. لابد من عمل شىء ..

هنا أدركت عبير سحر مصر الذى يجعل الناس لا يكرهونها مهما حدث لهم .. أنت لست وحيدًا أبدًا فى مصر .. ربما تتضايق من هذا فى الظروف العادية ، لكنك بالتأكيد لا تحتاج إلى أن تكون وحيدًا عندما تكون أمك ـ لا سمح الله ـ موشكة على الاختناق ...

هرع الشباب الحفاة الذين يلبسون الفانلة الداخلية ويربطون سواعدهم ، ليصنعوا محفة بدائية يضعون عليها الأم ليحملوها إلى المستشفى القريب .. لا وقت لانتظار الإسعاف طبعًا ، وتطوعت

بعض الجارات بالصراخ والعويل والذعر .... بعـض الجـارات تطوعن بالعناية بابنة (عبير) التى لم تصح من نومها بعد ..

هكذا وجدت (عبير) نفسها فى المستشفى تراقـب الأطبـاء يجرون تخطيط قلب لأمها ، وقد بدا التـوتر علـى الوجـوه ... عينات دم .. قناع أكسجين على الوجه المجعد الحبيب ..

سدة رئوية .. هذا هو ما سمعته مـن الأطبـاء .. لا تعـرف معنى ذلك لكنه مخيف بما يكفى .. جلطة فى الساق انفـصلت قطعة منها ودارت مع الدم لتنحشر فى الشريان الرئوى ...

قال لها الطبيب إن أمها سعيدة الحظ ، لأن الجلطـة صـغيرة الحجم ولسوف يتمكنون من إذابتها .. فى المعتـاد تقتـل هـذه الجلطات المريض بسرعة البرق لو كانت ضخمة ..

جلست أمام غرفة العناية المركزة وقد تخلت عنها سـاقاها .. كانت إحدى الجارات قد أحضرت لها ثيابًا تصلح للخروج ...

كان من الممكن أن يكون هذا هو اليوم ..

كان من الممكن أن يكون هذا هو اليوم ..

بمعجزة ما أفلتت من الكارثة ..

وارتجفت هلعًا وهى تفكر فى البيت الخالى الموحش .. لا أحد يقطف الملوخية فى المطبخ أو يحشو أصابع الكرنب. لا أحد يسألها عما فعلته أو يلومها أو يكلفها بشراء شىء من على الناصية ...

سيكون هذا قاسيًا .. سيكون مرعبًا ..

إن لديها ابنتها ، ولكن (عبير) تعتبر نفسها طفلة ما زالت بحاجة إلى من يعنى بها .. لا تتصور أن تعنى بكائن آخر وحدها ..

الوحدة .. الوحدة .. هذا شىء مخيف ...

تراقب وجه أمها خلف قناع الأكسجين .. وتقول لنفسها : إنها لن تستطيع أن تعيش وحيدة .. لهذا يتزوج الناس كى لا يجدوا أنفسهم فى بيت خال مظلم .. ترى هل يمر (شريف) بذات المخاوف ؟.. هل يخشى أن يجد نفسه وحيدًا فجأة ؟

وهى ؟.. هل ستعيش من دون زواج حقًا ؟.. الفكرة التى بدت لها منطقية جدًا أمس تبدو اليوم سخيفة جدًا .. طفولية للغاية ..

* * *



عندما انتهت تلك الأيام السوداء ، وعندما عادت أمها للبيت استقبلتها الحارة استقبال الفاتحين .. لم يخل البيت لحظة من (أم عصام) و(أم رشا) و(أم حماده) .. كلهن هناك ، وقد اكتسبن صلاحيات غير مسبوقة فصار بوسع أية واحدة أن تدخل البيت متى شاءت أو تعد الطعام فى المطبخ أو تفتح الثلاجة ..

وبرغم أن (عبير) لا تميل للناس كثيرًا ، فقد أحبت كثيرًا هذا الزحام .. الزحام الذى يضيع فيه أى شىء حتى نفسها .. إنها عاجزة فعلاً عن العثور على نفسها فى هذه الفوضى ، وهذا شىء جميل ..لا وقت للقلق أو التفكير فى الغد ..

كانت الأم تتعافى بسرعة .. وبرغم أنها صارت تتعاطى قائمة هائلة من الأدوية فإن حالتها العامة كانت أفضل ..

المشكلة أن قائمة الأدوية هذه عبء مادى لا شك فيه ، وقد طلبت من (صفوت) أن يقرضها بعض المال ففعل بسماحة ، لكنها بالتأكيد لن تجرؤ على تكرار ذلك ..

هذه كانت الأوضاع عندما دخلت إلى غرفتها ..

كانت أمها قد نامت فى سلام وتنفسها منتظم ..

للمرة الأولى تمد يدها إلى جهاز الأحلام غير شاعرة بالذنب .. سوف تغسل نفسها لمدة نصف ساعة ثم تعود لتواجه الواقع القاسى ...

من مكان ما فى الشارع انبعث صوت جهاز تلفزيون مفتوح ..

تسمع صوت (زوزو نبيل) الخشن الجميل إذ تتثاءب وتقول :

ـ « مولاى .. »

ثم تنبعث تلك الموسيقا الخالدة التى هى نياط قلب يتمزق مع صياح ديك مع جنى يشق الجدار ويخرج ... إنها كل هذا فى وقت واحد ... مقطوعة ريمسكى كورساكوف korsakov الأسطورية ..

ضغطت على زر التشغيل ، وخطر لها أن هذه الموسيقا قد تتسرب للحلم بشكل ما . وابتسمت للفكرة ..

لم تدر كم هى محقة ..



2 ـ احكى يا شهر زاد ..

كانت هناك وسط النساء ..

الجـو العـام يوحى بأحـد المخادع الشرقية التـى رسـمها (ديلاكروا) .. هناك ستائر .. الكثير منهـا.. هنـاك طنـافس ووسائد .. هناك حوض ماء صغير يتصاعد منـه بخـار عطـر الرائحة ، وهناك طاووس أو إثنان يدوران حـول الحـوض ... ربما وجدت نمرًا كذلك لو بحثت بعناية ..

هناك جوار أكثرهن أفريقيات داكنات البشرة يقمـن بتمـشيط شعرها الأسود الطويل .. وهناك عبيد عراة الصدور سود البشرة من الذين يصلحون للمصارعة ، يقفون فى شموخ وقـد عقـدوا سواعدهم على الصدور. شعرت بخجل لأن هؤلاء الأوغاد هنا ، ثم تذكرت أن هؤلاء العبيد عولجوا بطريقة خاصة كى يخلوا من هرمونات الرجولة ، ومهتمهم حماية النسوة فى الحريم ..

هناك جارية شقراء ـ لابد أنها أوروبيـة ـ تعنـى بأظفـار قدميها ، وأخرى تبدو كالصينيات تجلس جوارها ممسكة بصحفة عليها فاكهة طازجة .. شىء مستفز .. كأنها لا تستطيع التوقف عن التهام الفاكهة إلى أن تمشط شعرها ، لكن من الواضـح أن

هذه حياتها ولا حياة أخرى .. أى أن يومها عبارة عن تبرج طويل فلا توجد لحظة خالية تأكل فيها ..

هناك من ترش عليها من قنينة عطر .. عطر مدوخ هو ، يبدو أنه تم تقطيره من خلاصة الشرق ذاتها. جارية أخرى تحمل مرآة عملاقة تضعها أمامها ..

ترى (عبير) نفسها للمرة الأولى فى هذه القصة ، فتدرك أنها ساحرة .. صغيرة الحجم دقيقة أقرب لطفلة.. لكن عينيها تشعان ذكاء وقوة شخصية ، ومن الواضح أنها خبيثة كذلك .. على رأسها عمامة عملاقة مزينة بريشة وماسة ، وحول جيدها وفى ذراعيها كمية هائلة من الحلى والمجوهرات ..

هنا فهمت على الفور ..

لا توجد شخصيات كثيرة لها هذا الطابع ، وهى تتخيل كيف كانت الملكة سميراميس تلبس وكذلك شجرة الدر .. نحن بالتأكيد فى بلد عربى فى العصر العباسى ..

شهرزاد ..

من سواها ؟



* * *

هناك كان جالسًا على فراش عملاق يبلغ ارتفاعــه متــرين ، وقد اضطجع على جانبه ونزع عمامته فتــدلى شــعره الأســود الطويل الحريرى على كتفه ، وكان يعبث فى لحيته بلا توقف ..

تشق طريقها وسط غابة الستائر الحريرية لا تعرف أى طريق يقود إليه ..

هناك كان راقدًا يدخن النارجيلة .. وقد وقف جواره ذلك العبد الأسود العملاق .. لابد من عبد أسود لهؤلاء القوم وإلا فقــدوا شعورهم بالتميز ...

هناك كان مضطجعًا يلتهم تفاحة حمراء ضخمة فى ملل ، حتى ليوشك على أن يبصقها .. يأكلها ولا يريد ذلك لحظة ...

من يكون هذا سوى (شهريار) ؟

أخيرًا بعد مسيرة ساعة وسط الستائر ، بلغت الفراش فانحنــت محيية بحركة رشيقة ذات طابع ملكى ، فتوقف عن المضغ علــى سبيل التحية ، ثم فرد لها العباءة التى وضــعها علــى الفــراش لتجلس فوقها .. تسلقت الفراش وتربعت شاعرة بأنها تغــوص .. نعومة لا يمكن وصفها ، فهل هو ريش النعام حقًا ؟

شهريار ..

الملك الشرقى الذى خانته زوجته فقطع رأسها ، ثم قرر بعد هذا ألا يثق بأنثى للأبد .. وشعار حياته هو (لا تأمنن إلى النساء .. ولا تثق بعهودهن) ..

كان انتقام شهريار من جنس النساء شاملاً وقاسيًا بالطبع ..

فى كل يوم يجلبون له عروسًا عذراء يتزوجها ليلة واحدة ، وفى الصباح يأتى مسرور السياف حاملاً السيف والدلو والنطع . مسرور هذا يقطع رءوس الناس بالبساطة التى تقشر بها أنت ثمرة يوسفى . هكذا يهوى السيف ويسقط رأس العروس لليلة واحدة فى الدلو .. ويخرج المنادون ليبحثوا عن عروس أخرى ..

هذا يعنى أن هناك 365 رأسًا مقطوعة فى كل سنة ...

هناك ملك آخر لم يقطع كل هذا العدد من الرءوس ، لكن التاريخ منحه اسم (شهريار بريطانيا) ، هو الملك هنرى الثامن ...

هنا تظهر شخصية شهرزاد الفريدة ...

إنها تلك الفتاة الذكية واسعة الحيلة التى قررت أن تنجو بحياتها أولاً ، ثم تنقذ نساء المملكة ثانية ..

لقد قبلت الذهاب لشهريار عروسًا لليلة واحدة كما فعلت الفتيات الأخريات ، لقد استشفت أن شهريار برغم هيبته الواضحة ولحيته العملاقة وعينيه المفترستين طفل كبير .. طفل يحب الحواديت كأى طفل آخر .. ويمكن القول إن هذا المعتقد يتسع ليشمل كل الرجال فى الحقيقة ..

هكذا بدأت تحكى له قصصًا ممتعة .. قصصًا لا تنتهـــى أبـــدًا ، وكل قصة تحمل نهاية شائقة .. كانت هى أول من ابتكـــر نظـــام (القفلات) أو CLIFF HANGERS إذن ..

هكذا يجد الأخ شهريار نفسه فى الصباح مخيرًا بـــين الالتـــزام بعهده الرهيب وقطع رقبتها ، أو الانتظار ليلة أخرى لمعرفة مـــا حدث بعد هذا ...

الطفل الكبير فضل أن ينتظر ..

والمشكلة أن كل ليلة تلد قصة أخرى لم تنته .. هكذا يكون عليه أن ينتظر ...

يشبه الأمر أن تحاول غلق باب تتدافع عبره أسراب من الدجاج .. لا تجد أبدًا اللحظة المناسبة لغلق الباب ..

ظل الباب مواربًا .. 1001 ليلة ... ثلاث سنوات تقريبًا ...

* * *

لقد تضخم دور شهرزاد فى الوجدان الثقافى العالمى ، حتى صارت ترمز للأنثى واسعة الحيلة التى استطاعت بذكائها ترويض الثور المشعر مفتول العضلات المسمى بالرجل .. لم يبقها حية سوى ذكائها وقدرتها على نسج قصص ممتعة ...

إنها الفنان عبر العصور .. الفنان الذى يجب أن يقدم فنًا جميلاً ، وإلا طار عنقه .. النقاد سيطيرون عنقه والجمهور سيطير عنقه .. وهو نفسه سيطير عنقه ، عندما لا يجد سببًا للحياة ..

هناك مسرور أبدى يحمل سيفًا ونطعًا وراء كل فنان .. ينتظر اللحظة التى يجف فيها فنه ..

وشهرزاد كانت فنانًا .. فنانًا خلدته الأساطير ..

فنانًا لم يتوقف عن ابتكار قصص مسلية لمدة ألف ليلة وليلة ...

* * *



3 ـ احكى يا دنيا زاد ..

بدأت تفتش فى ذاكرتها عن قصة .. لابد أنها تستكمل قــصة قيلت أمس ، فهــذه هى تقنية ألف وليلة وليلة .. والقصة تلــد قصة داخلها ثلاث قصص ، وكل قصة داخلها قصتان ، ويبدو أن هذه الطريقة العنقودية المعقدة سبقت كــل المحــاولات الأدبيـــة السابقة ..

هنا نظر شهريار خارج الستائر فى ملل وقال :

ــ « ألن تأتى يا شهرزاد ؟ »

شهرزاد ؟...

هنا انزاحت الستائر ووجدت عبير نفسها تنظر إلى شـــهرزاد فعلاً .. امرأة ناضجة مكتملة فارعة الطول ، وفى عينيهـــا ذات الذكاء وقوة الشخصية .. هنا فهمت (عبير) .. لم تكــن هـــى شهرزاد .. كانت هى (دنيا زاد) أختها التى جاءت لتعيش معها فى قصر الملك ..

ليس غريبًا أن تجملها الجوارى فهى أخت ملكتهم .. ولهـــذا بدت لنفسها أصغر سنًا مما تتوقع ..

جلست شهرزاد على الفراش بدورها ، فصارت الجلسة ثلاثية ..

قال شهريار فى لهفة وعيناه المجنونتان تلمعان:

ــ « هيه !.. ماذا حدث للحمال فى قصة أمس ؟ »

ابتلعت شهرزاد ريقها .. كان لديها ما تريد قوله وإن كان عسيرًا . بعد صمت طال قالت وهى تتحاشى نظرات الملك :

ــ « أنا بحاجة إلى راحة ! »

ــ « راحة ؟ »

ــ « نعم .. ضع نفسك مكانى .. هناك ما يسمى (سدة الكاتب Writer's block) .. منذ 800 ليلة وأنا أحكى لك قصصًا مثيرة بلا توقف . بشرط أن تكون القصة كثعبان لا يمكن غلق الباب قبل أن يمر بالكامل ، وقبل أن يمر يكون ثعبان آخر قد حشر رأسه معه .. أبذل هذا الجهد كى أنقذ عنقى وعنق الفتيات الأخريات .. الآن لابد من لحظة نضوب .. لابد من أن أتوقف لفترة وأستجمع أفكارى .. أريد أن أقرأ وأشاهد أفلامًا وأتأمل الناس .. أنت لا تمنحنى هذه الفرصة .. لقد جففت ! »

عيناه صارتا عينى نمر وهو ينظر لها فيوشك على أن يحرق عمامتها .. قال من بين أسنانه :

ــ « والحل ؟ »

قالت وهى تتمطى على الفراش :

ــ « لابد من التغيير ! »

ــ « بل لابد من مسرور !! »

لم تفهم هى ، لكن مسرورًا العملاق الزنجى فهم وهو على بعد أمتار ، وما زال يقف خلف الستار .. وهكذا لم تــدر عبيـــر إلا والعملاق الزنجى الأبنوسى المبلل بالعرق يزيح أستار الفراش ، ثم يهوى بسيف بتار من طراز السيوف التترية إياها على عنــق شهرزاد ..

لقد صارت الفوضى بالغة ... ما من مجنون يقطع رأس امرأة على الفراش .. هكذا تحولت الغرفة إلـــى بركـــة دم .. وصـــاح شهريار متقززًا :

ــ « يا لك من غبى !... لماذا لم تقطع عنقها على النطع كما هى العادة ؟ »

قال مسرور وهو يحمل الرأس الجميل :

ــ « حسبت الأمر عاجلاً يا مولاى .. خطر لى أنها تهددكم ! »

ــ « تهددنى أنا يا أحمق ؟ »

ثم نهض متأففًا يبحث عن العبيد كى يعطوه ثيابًا وحمامًا وعطرًا .. يحب رؤية الدماء لكنه يمقت أن يستحم بها ..

فقط (عبير) ظلت وحدها على الفراش ترتجف عاجزة عن الكلام أو الحركة أو الفرار ..

لقد تم كل شىء بسرعة البرق .. هناك حادث حقيقى عن رجل هندى كان يتناول عنقود عنب فى قطار فوثب قرد من النافذة وخطف العنقود ، ثم فر من النافذة الأخرى .. ظل الرجل فى وضع متصلب ويده ما زالت فى وضع الإمساك بالعنقود وحبة عنب قرب شفتيه .. ظل على هذا الوضع ثلاث ساعات !

لقد وجدت نفسها فى موقف مشابه ..

لم تتحرك .. لم تتكلم .. لم تتنفس .. كأنها أصيبت ببله مغولى مفاجئ ..

وعندما أفاقت كانت على البساط الثرى السميك بينما جاريتان تعنيان بها ..

كانت تبكى منهارة وترتجف بلا توقف ..

لم تكن علاقتها بشهرزاد قوية.. كما قلنا هى قابلتها منذ ربع ساعة لأول مرة ، لهذا لا يمكن أن نقول إنها تأثرت لموت أختها .. فقط تأثرت لرؤيتها مصرع إنسان بهذه الوحشية ..

شهريار وحش .. شهريار سايكوباثى .. شهريار دموى ..

لقد ماتت شهرزاد وانتهى مبرر وجود ألف ليلة وليلة إذن .. لقد صارت 800 ليلة لا أكثر ..

هنا رأت فى مجال بصرها طيلساناً فاخرًا وحذاء ثمينًا محلــى بالمجوهرات .. لم ترفع عينيها فقد عرفت من العطر أنه هو ..

قال بصوته الجهورى :

ــ « الآن أنت ضحيتى القادمة يا (دنيا زاد) .. »

ارتجفت هلعًا .. ما ذنبها هى ؟

قال وهو يتجشأ :

ــ « إلا إذا .... »

إلا إذا ماذا ؟

عاد صوته يتردد:

ــ « إلا إذا استطعت أن تواصلى مهمة أختك .. لقد كانت بارعة فى التأليف وحكت قصصًا رائعة .. هل تعتقدين أنك قادرة على استكمال المهمة ..؟ »

نظرت له فى حيرة .

إذن هذا هو المقلب وسبب وجودها فى هذه القصة .. عليها أن تسلى هذا الثور المولع بالدماء والقصص ..

قالت فى تردد وبصوت مبحوح :

ــ « سأحاول .. سأحاول ... »

منذرًا لوح بإصبعه :

ــ « وتعرفين طبعًا ما سيحدث لو لم ترق لى القصص .. »

ــ « أعتقد أنه قطع عنقى طبعًا .. »

ــ « لا .. قطع العنق يعنى أننى متسامح ومزاجى معتدل .. إن لدى خيالاً أقوى بكثير !! »

4 ـ بلغنى أيها الملك الرشيد ..

الآن صارت عبير هى الزوجة الجديدة لشهريار..

بدأت تفتش فى ذاكرتها عن قصة .. لابد أنها تستكمل قــصة قيلت أمس ، فهذه هى تقنية ألف وليلة وليلة .. والقصة تلد قــصة داخلها ثلاث قصص ، وكل قصة من هذه فيها قصتان .. حتــى أنك عندما تعود للقصة الأصلية تكون موشكًا على فقدان الوعى ..

لقد ألبستها الجاريتان ثياب شهرزاد الواسعة عليها ، ووضعتا العمامة الثقيلة على شعرها .. بدا التأثير غريبًا كــأن شــهرزاد الأصلية قد خضعت لعملية انكماش مفاجئة ..

جاء شهريار فتثاءب وتمطى ثم ألقى بنفسه علــى الفــراش الوثير ، وفى عينيه بدت نظرة شغوف كطفل جاء وقــت ســماع قصص جدته .. بل إنه نام على بطنه واستند على قبضته وراح يركل الهواء بقدميه .. طفل كبير لكنــه يملــك نفــوذًا مخيفًــا وما أفظع الأطفال الذين يحق لهم القتل !

تنحنحت وتوكلت على الله ، لكن صوتها خــرج مبحوحًــا .. حاولت أن تقلد نغمة صــوت زوزو نبيل الأرستقراطية الأنفيــة قليلاً.. هذا الصوت الساحر الذى تربينا عليه جميعًا فى طفولتنا ..

قالت فى تؤدة :

ــ « بلغنى أيها الملك الرشيد .. ذو العقل السديد .. أنه كانت فى بلاد الفرنسيس .. مدينة تدعى باريس. كانت المدينة تغلى بالغضب .. وتشتعل بنيران اللهب . لأن لويس السادس عشر .. كان يعيش مع أعوانه فى القصر . لا يبالى بشئون الرعية .. قدر ما يهتم بالصيد فى البرية . وزوجته ملكة تدعى مارى أنطوانيت .. هى سيدة البيت . ولم تكن فرنسية .. بل كانت نمساوية . ولما سمعت أن الناس يطالبون بالخبز .. لم تفهم سر هذا اللغز. واقترحت أن يأكلوا (الجاتو) .. بدلاً من الخبز الذى به طالبوا .. »

كانت تعرف أن هذه المعلومة الأخيرة غير دقيقة .. مارى أنطوانيت ليست هى قائلة (لم لا يأكلون الجاتو بدلاً من الخبز ؟) .. لكنها من المعتقدات التى صار تغييرها مستحيلاً .

كان شهريار يتابع . وبدا لها أنه من الممكن أن تنجح ... هو لم يقرأ رائعة ديكنز (قصة مدينتين) وبالتالى يمكن أن يبتلع كل شىء ..

واصلت الكلام :



ـ « كانت الشوارع تغلى بالثورة .. والحياة صـارت مُـرة . وكانت فى أزقة العاصمة المنسية .. حركة مقاومة سرية. مـن أهم قوادها المسيو ديفارج .. وزوجته مدام ديفارج . وهى امرأة قاسية .. باردة وعاتية . وكانا يملكان حانة صـغيرة .. لكنهـا خطيرة . يؤمها الثوار ليتآمروا .. فإذا لاح شرطى جروا . وكان الثوار يكنون أنفسهم باسم جاك .. حتى لا يقعوا فى الشراك .

« فى ذلك الوقت وصلت إلى المدينة .. فتـاة حسناء لكنهـا حزينة . كان اسمها لوسى مانيت .. وأبوهـا طبيـب حـويط . سجنوه اعوامًا فى سجن الباستيل .. ولم تسمع عنه سوى القليل . وسجن الباستيل سجن رهيب .. لم يتحمله عقل الطبيـب. فلمـا غادر السجن أخيرًا .. صار محطمًا كسيرًا. واستضافه ديفـارج فى حانته وأكرم وفادته .. فلما جاءت الفتاة تبحث عن أبيهـا .. أخذها ديفارج ليريها . نزلا معًا إلى غرفة مخفية .. حيث كـان الطبيب عاكفًا على إصلاح الأحذية. فلما قابل ابنتـه بعـد هـذه الأعوام .. لم يعرفها وكاد ينام . بكت على صدره لله شـاكرة .. وقررت أن تأخذه إلى انجلترا . بعيدًا عن هذا البلد اللعين .. الذى يوشك على أن يصير الجحيم » .

كان شهريار يصغى بضمير مخلص محاولاً أن يستمتع ..

كان كل هذا غريبًا بالنسبة له .. أسـماء غريبـة .. أحـداث غريبة ..

للأسف لم يرد لذهنها المنهك سوى عنوان (قصة مـدينتين) قصـة تشارلز ديكنز الرائعة. إنها سرقة أدبية بالمعنى الحرفـى للكلمة ، لكنها مضطرة لذلك كى تنقذ عنقها .. ديكنز نفسه كـان سيسمح لها بالسرقة إذا عرف أن ثمن عدم السرقة هو السيف .. كانت الأحداث سهلة يسيرة التذكر ، فلـم تكـن معقـدة مليئـة بالأسماء مثل الكارثتين (ديفيد كوبرفيلد) و(أوقات عصيبة) ..

مد شهريار أنامله إلى عنقود العنب فأخذ بضع حبات دسها فى فمه وراح يمضغ فى بطء .. وقال :

ـ « أكملى ..»

قالت (عبير) بصوتها الناعس :

ـ « يظهر هنا شاب وسيم .. كان متهمًـا بجـرم عظـيم . (تشارلز دارنى) هو اسم الشاب .. وقد برأه المحامى بلا صـعاب . لأن المحامى الداهية .. كان يملك حيلة واعية . إذ لديه مـساعد

يدعى سيدنى كارتون .. يشبه دارنى فى الملامح واللون .. وهكذا شكّك فى شهادة الشهود .. وبين للقاضى أن الشبه موجود . هكذا ظفر تشارلز دارنى بالحرية .. ووقع فى حب لوسى الوفية ..

قال لها شهريار فى دهشة :

ـ « هل تعنين أن هذا الـ ... التشارلز دارنى يشبه سيدنى كارتون ؟ »

قالت باسمة :

ـ « نعم .. وهذه هى النقطة المهمة فى القصة .. أحد الرجلين شاب ناجح اجتماعيًا ، بينما الآخر صعلوك ولد خاسرًا .. سوف يفوز تشارلز دارنى الوسيم الناجح بكل شىء ولوسى نفسها ، لكنه يقع فى مشكلة خطيرة عندما تعتبره الثورة عدوًا لها وتحكم عليه بالإعدام ... سوف نعرف أن سيدنى كارتون نفسه يحب لوسى سرًا ، وهكذا يقرر سيدنى كارتون أن يقوم بأعظم تضحية قام بها إنسان .. يضع نفسه مكان تشارلز دارنى ويذهب بدلاً منه إلى المقصلة وهو يردد: ما سأقوم به هو أفضل بكثير جدًا من أى شىء فعلته من قبل ... »

عيث شهريار فى لحيته وتساءل :

ــ « وما هى المقصلة ؟ »

ــ « الجيلوتين guillotine .. هذه طريقة متقدمة لقطع الرقاب ، لكنها كانت فى البداية آلة للحصاد ..حولها الفرنسيون إلى آلة إعدام رهيبة ، فهم لا يملكون مسرورًا بالتأكيد ... »

قال فى اشمئزاز :

ــ « لا أحب هذه الوسائل المتقدمة .. منظر الجلاد الذى يحمل السيف درامى أكثر .. »

ثم داعب شاربه ولمعت نظرة ميزوجينية شنيعة فى عينه ، وقال :

ــ « ما هو الحب الذى يدفع المرء إلى أن يضحى بعنقه من أجل امرأة ؟.. النساء كائنات كالصراصير لا تستحق أية تضحية من أى نوع .. هذه قصة خيالية أكثر من اللازم » ..

قالت فى كياسة :

ــ « أبطال القصص أكثر جموحًا ودرامية من الناس العاديين .. هذا طبيعى وإلا ما كتب أحد عنهم حرفًا .. لن تجد رواية تحكى

عن رجل ذهب للبقال وابتاع جبنًا ثم عاد ليتناول عشاءه ويتجشأ وينام .. »

أضاف شهريار وقد تذكر شيئًا :

ــ « هذه هى القصة إذن ؟.. لقد أتلفتها تمامًا ... لقد قلت لى كيف ستنتهى قبل أن تبدأ .. أنا أمقت الــ **Spoliers** »

هنا تذكرت أنه مستمع قصص ممتاز ، ولا شىء يؤذى هؤلاء سوى أن يعرفوا نهاية القصة .. هذا يقتلهم قتلاً . هنا لجأت إلى الحل الذى وصلت فيه شهرزاد إلى مرحلة الإبداع.. فتح جبهات جديدة :

ــ « فلما التقى دارنى وكارتون بعد المحاكمة ... تبادلا عبـــارات بالمجاملة مفعمة. شكر دارنى شبيهه على الدفاع الجميل .. الذى أنقذه من سجن الباستيل. فقال كارتون إن هـــذا يـــذكره بقـــصة الصياد الفقير.. الذى وجد لؤلؤة حجمها كبير.. وكـــان يحـــسبها ستجلب له السراء .. فلم تجلب سوى الضراء .. »

قال لها شهريار فى فضول :

ــ « وما هى قصة اللؤلؤة ذات الحجم الكبير ؟ »

قالت فى غموض :

ـ « هى قصة غريبة .. وأحداثها عجيبة . وما هى بأعجب من قصة دارتانيان والفرسان الثلاثة الشجعان .. »

هنا صاح الديك .. وأدركهما الصباح .. فسكتت دنيا زاد عن الكلام المباح ...



5 ـ الصياد وزوجته الحبيبة .. واللؤلؤة العجيبة ..

فى اليوم التالى ذهب شهريار لتدبير شئون المملكة ..

تذكر أن شهريار ليس مجرد مستمع للقصص كمـــا تظهـــره القصص ، بل هو ملك قوى .. إن أباه هو من ملوك (ساسان) بجزر الهند والصين . أى ـ للدقة ـ هو يحكم منطقة ما فى جـــزر الملايو. وقد ورث شهريار عنه هذا الملك ، أما أخوه (شاه زمان) فقد كان ملك سمرقند .

جلست عبير فى جناح الحريم .. وراحت واحدة من الجوارى تضفر شعرها وواحدة أخرى تضمخها بالعطر فى المشهد الممل المعتاد الذى يروق للغربيين ورسمه ديلاكـــروا مـــرارًا. كانـــت شاردة الذهن لا تكف عن استكشاف مجالات القص المتعددة ..

إن لديها مخزونًا لا بأس به من القصص ، لكنه يبدو غريبًا .. غريبًا أكثر من اللازم يختلف بالتأكيد عن ذلك الجو الحميم العربـــى الذى اشتهرت به قصص شهرزاد .. بغداد والأزقة والحمـــالون والمتسولون والنساء الغامضات اللاتى يـــضعن الخُمُـــر .. مـــن الصعب أن تستبدل بهذا الجو جو مسيو (ديفارج) ود. (مانيـــت) والمقصلة ..

لكن الحقيقة هى أنها بالفعل لا تذكر حرفًا من قصص ألف ليلة .. تتذكر الجو العام .. هناك جنى فى مصباح وأربعون لصًا ، لكن فيما عدا هذا لا توجد تفاصيل ..

على كل حال لا مفر من أن تستمر فى خطتها ..

سوف تحكى له ما تعرفه من أدب غربى أو عربى معاصر ... لا يوجد حل آخر ، وعليه إن لم يحب هذا أن يبحث عن طريقة تسلية أخرى ..

سوف تحكى له قصة (اللؤلؤة) رائعة (شتاينبيك) ، ثم تتفرع منها إلى (الفرسان الثلاثة) رائعة دوما .. وبعدها تعود للؤلؤة ومنها إلى قصة مدينتين .. هذه هى التقنية التى تعرفها .. إن هذا سيطيل حياتها أسبوعين على الأقل ..

* * *

هكذا عندما جاء المساء وفرغ شهريار من قطع الرقاب ، وتناول عشاءه الدسم الذى يتكون من خروفين ، كل خروف قد حشى بديك رومى ، والديك الرومى محشو بالدجاج ، والدجاج محشو بالحمام ، والحمام محشو بالعصافير ، والعصافير محشوة

بالجوز واللوز .. ثم شرب زقًا من خمر بابل ، كـــان الآن فـــى حاجة إلى قصة مثيرة تناسب عملية الهضم ..

جاء إلى غرفته فشق طريقه وسط الستائر إلى أن بلغ الفراش ، فارتمى عليه كأن جبلاً يجثم فوق صـــدره .. راح يلهـــث طلبًـــا للهواء ، ثم قال لها :

ـ « اليوم يا دنيا زاد أنا راغب فى سماع قصة الصياد الفقير واللؤلؤة ذات الحجم الكبير .. »

ابتسمت فى ثقة أنثى تعرف أين وكيف تقود رجلاً أضخم منها بمراحل ، وقالت:

ـ « بلغنى أيها الملك الرشيد .. ذو العقل السديد . أنـــه فـــى قرية مكسيكية .. كان صياد هندى سليم الطوية. وكان كينو هـــو اسمه.. وله زوجه فقيرة مثله. عاشا يعانيان الفقر والجـــوع .. ولديهما ابن رضيع. كان هو الذى يمنحهما الأمل .. ومن أجلـــه يحبان العمل. حتى جاء اليوم الخطير .. عندما مشى عقرب فوق فراش الصغير. سقط فوق الرضيع فلدغه بذبانه .. قبل أن يقتله كينو. هكذا انتشر السم .. وجرى فى الرضيع مجرى الدم . حمل كينو صغيره إلى الطبيب الموجود .. وهو أسبانى يكره الهنود .

لكن الطبيب رفض فحص الرضيع .. لأنه يعرف أن الهنود حالهم وضيع . والهنود .. ليس معهم نقود . هكذا زعم أنه ليس هنالك .. وأرسل الخادم يخبر كينو بذلك . جن جنون الهندى وغلبه القنوط .. وأدرك أن ابنه سيموت .. »

قال شهريار وقد اتسعت عيناه دهشة:

ـ « ليس معه أجر الطبيب ؟.. أليس صيادًا ؟ »

قالت عبير:

ـ « تعرف يا مولاى أن الصيادين يعيشون من يوم ليـوم .. إن حياتهم تتوقف على رزقهم. كان كينو صياد لؤلؤ .. واللؤلـؤ لا يوجد عندما تريده .. »

ثم ابتلعت ريقها وعادت لعادة السجع :

ـ « كأنما يستجدى الأقدار .. وثب كينو إلى أعماق البحـار. وراح يبحث عن لؤلؤة .. تحت ربوة ناتئة . من الغريب أنه وجد محارة كبيرة .. بداخلها لؤلؤة خطيرة . أكبر لؤلؤة رآهـا فـى حياته .. ولن يرى مثلها حتى مماته . هكذا أطلق صرخة مدوية .. وجرى يخبر زوجته الوفية . لم يأت المساء .. حتى كانت القرية

كلها قد عرفت بما وجده فى الماء . الكل شعروا بحقد عليــه .. للثروة التى هبطت فى يديه . وقال الطبيب فــى غــرور .. إنــه يعالج ابن كينو الصغير . وكان معلومًا لدى الفقراء .. أن الفقير الذى يصير ثريًا يمعن فى العطاء . »

راح شهريار يصغى فى استمتاع لهذا الجــزء ، لأنــه يحــب قصص المجوهرات عامة .. هناك لؤلؤة وهناك صياد فقيــر .. يبدو أنه لم يبتعد كثيرًا عن جو ألف ليلة وليلة على كل حال ..

واصلت عبير سرد القصة :

ــ « امتلأ ذهن كينو بالأحلام .. سيعلم ابنه الحساب والأرقام . سيذهب ابنه للمدرسة .. ويعرف كل شــىء ويدرســه . وعنــد المساء جاء الطبيب .. زاعمًا أنه لم يعرف أن الرضيع أصــيب . قال له كينو إن الصغير قد شفى من اللدغة المميتة .. لكن الطبيــب أصر أن يفحصه بعناية مقيتة. وقال إن السم . قد سرى فى الدم .. أخرج من حقيبته شيئًا فى ضوء السراج .. وقال إن هــذا هــو العلاج . بعد ساعات اشتدت الحمى بالرضيع .. وأفرغ معدته وانفجر فى الدموع. عندها عرف كينو أن الســم نشيط .. وللرضيع مميت . لكنه شعر بشك مريب .. تجاه ما أعطاه له الطبيب .. »

حك شهريار رأسه من تحت العمامة وتساءل :

ـ « هل تعنين أن الطبيب قد يكون دس سمًا للرضيع ؟ »

ـ « هذا وارد .. لقد عرف بموضوع اللؤلؤة ومن الممكن أنه جعل الرضيع يمرض أكثر ليعالجه ويطالب بفاتورة فلكية .. »

ـ « لقد جن بطل قصتك هذا .. »

ـ « الحقيقة أنه سيغرق فى البارانويا .. سوف يعتقد أن كل شخص يتربص به والأشجار تتحرك .. كل شىء فى الكون يريد اللؤلؤة .. إن اللؤلؤة لن تجلب له سوى أسوأ ساعات حياته .. »

قال شهريار محذرًا وفى عينيه نظرة مخيفة :

ـ « حذار .. حذار .. لا تفسدى هذه القصة كذلك .. »

تذكرت على الفور أن الشىء الوحيد الذى يبقيها حية ويبقى عنقها على كتفيها هو التشويق .. يجب أن يظل شهريار ينتظر معرفة ما سيحدث ..

قالت له وهى تتثاءب :

ـ « قصة غريبة ، لكن ما هى أغرب من قصة دارتانيان والفرسان الثلاثة الشجعان .. »

سوف تحكى له جزءًا من الفرسان الثلاثة ، ثم تعود إلى كينو واللؤلؤة .. ثم تعود لقصة مدينتين .. هكذا ..

قصة الفرسان الثلاثة لا تروق لها . هناك جو مفتعل سـخيف مزخرف بالدانتيلا .. كل شىء انيق متغطرس ، وهؤلاء السادة الشجعان الذين قبل أن يتبارزوا ينحنون ملوحين بالقبعات المزينة بريش الطاووس .. وجو المؤامرات التى يدبرها (رشليو) دائمًا ، وزجاجات السم الصغيرة .. و .. و.. لكنها على الأرجح ستروق لشهريار .

هنا لاحظت شيئًا غريبا .. إنها لا تتذكر حرفًا من قصة الفرسان الثلاثة .. انطباع عام عن القصة لكنها لا تستطيع أن تذكر فقرة كاملة منها ..

وماذا عن مغامرة كينو واللؤلؤة ؟.. لا تعرف .. لقد تبخرت القصة من ذهنها ..

شعرت بأنها توشك على فقد الوعى ..

قالت لشهريار وهى تتثاءب :

ـ « مولاى .. لقد أدركنا الصباح وعلينا أن نكف عن الكلام المباح ! »

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل .. ما زال الصباح بعيدًا ، لكنها أغمضت عينيها وأطلقت شخيرها ..

سمعته يقول فى غيظ :

ـ « ما زال الصباح بعيدًا .. يا لك من بلهاء ! »

وراح يهزها فى عنف فارتفع شخيرها أكثر .. أطلق بعض السباب .. وفى النهاية بدأ صوت شخيره يتعالى هو الآخر .. من الصعب أن تظل متيقظًا عندما ترى من يغط فى سلام كطفل .

أما هى فلم تنم وعلى الأرجح لن تنام ..

يجب أن تعرف ما حدث لذاكرتها !



6 ـ ليس ألزايمر لسوء الحظ ..

كانت جالسة فى جناح الحــريم تمــارس عملهــا اليــومى : لا شىء . إلا لو كان الجلوس لفتاة صينية تقلم أظفارها عملاً .. تقضم قطعة هائلة من أجاصة (كمثرى) ثم تلوكها مفكرة ..

ماذا حدث لذاكرتى ؟

من الممكن أن تحكى له أدبًا عربيًا .. هذا وارد .. بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد .. أنه بقــرب الميــدان .. كانــت عمارة اسمها يعقوبيان ..

أو : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد .. أن أحمد عبد الجواد .. كان تاجرًا لديه أولاد .. وكان فى البيت صارمًا وغيــر حنون.. لكنه كان يعشق الطرب والمجون ...

قطع عليها خواطرها صوت البنات يشهقن ويصرخن .. تعرف هذا النوع من الصراخ من طراز (يا لهوى !.. راجل !) .. معنــى هذا أن رجلاً ظهر فى جناح الحريم . لا رجل يجرؤ على ذلك ما لــم يكن راغبًا فى قطع عنقه ، أو هو ....

المرشد !... نعم ..

يمشى بقامته الفارعة وبذلته السوداء المملة التى لا يخلعها أبدًا ، والقلم الكئيب إياه .. تتك .. تك .. تتك .. وأدركت أن الجوارى فررن مذعورات.. رؤية رجل غريب هنا لا تقل رعبًا عن رؤية ديناصور ..

يحييها بهزة رأس ثم يلتقط تفاحة ، ويمسحها فى كمه ، ثم يقضم منها ..

ــ « لم يطل بك الوقت حتى صرت فى مشكلة .. »

أشارت للجارية الصينية كى ترحل ، ثم قالت له :

ــ « هل تتكلم عن داء (ألزايمر) الذى أصبت به مؤخرًا ؟ »

قال وهو يلوك التفاحة :

ــ « كرونش .. كرونش !.. ليس داء ألزايمر .. أنت وقعت فى ورطة زمنية كئيبة . هل تعرفين القصص إياها عندما يعود المرء عبر الزمن ليقتل المخترع الفلانى .. من ثم لا يعود وجود لاختراعه فى عالم الغد ؟.. فى فيلم (المفنى Terminator) يرسل طغاة المستقبل قاتلاً آليًا عديم الرحمة لعالمنا ، كى يقتل المرأة التى ستلد زعيم الثوار فيما بعد ... »

حاولت أن تربط كلماته بما هى فيه فلم تفهم .. ضيقت عينيها أكثر بمعنى (أوضح) .. فقال :

ـ « عندما تطالعين سيرة أى كاتب غربى تقريبًا ، فسوف تعرفين أنه قرأ ألف ليلة وليلة أول ما قرأ .. ونتيجة لهذا قرر أن يصير كاتبًا. ما حدث هنا هو أن شهرزاد لم تعد موجودة والقصص لم تُستكمل .. النتيجة أن معظم الكتاب الغربيين لم يكتبوا حرفًا !.. كيف تحكين قصصًا من الأدب الغربى بينما لا وجود لها أصلاً ؟.. أنت كرجل يجاهد لبلوغ سقف بناية شامخة ، بينما البناية ذاتها لم يعد لها وجود .. تصعدين درجات سلم تلاشى .. تصعدين إلى قمة شجرة ذبلت واختفت ! »

نظرت له فى رعب وقد بدأت تفهم ..

قال لها بطريقته الباردة السمجة قليلاً :

ـ « محاولتك هذه سوف تخلخل تاريخ الأدب بالكامل .. سوف تنقرض قطاعات هائلة من الفنون .. »

سألته فى هلع :

ـ « والحل ؟ »

ـ « الحل هو أن تحكى القصص كما كانت شهرزاد ستفعل بالضبط .. »

نهضت واقفة ووضعت يديها فى خصرها :

ـ « كيف ؟.. لا أذكر حرفًا من هذه القصص .. لم أقرأ ألف ليلة وليلة منذ كنت فى العاشرة .. »

ـ « هذه مشكلتك .. »

ـ « إذن لا يوجد حل .. »

راح يفكر بعض الوقت ، ثم قال لها وهو يصلح من ربطة عنقه :

ـ « هناك حل واحد .. إن قصص ألف ليلة وليلة مأخوذة من الحياة مع لعب حر بالخيال .. لو أنك مشيت فى شوارع بغداد ودمشق وبلاد فارس تستلهمين الأفكار ، لربما استطعت أن تجدى بعض القصص .. »

ـ « هل تعنى التأليف من البداية ؟ »

ـ « إن الحياة حبلى بالأفكار .. »



ــ « ومن يسمح لى بهذه الفترة ؟.. لقد رأيت بنفسى كيــف طار عنق شهرزاد لأنها طلبت مهلة تستجمع فيها الإلهام .. »

قال فى ثقة :

ــ « لا تقلقى بهذا الصدد .. يمكن أن أتفاهم مع شــهريار .. يجب أن يقبل وإلا فلن تكون هناك ألف ليلة وليلة وبالتــالى لــن يكون هو نفسه موجودًا .. »

فكرت قليلاً .. تبدو فكرة معقولة بالإضافة إلى أنها لا تملــك الخيار .. لقد وضعتها فانتازيا فى هذا الموقف وعليها أن تقبل ..

هزت رأسها موافقة ، وسألته :

ــ « متى نبدأ ؟ »

ــ « على الفور .. لكن لابد أولاً من لقاء بعض الشخــصيات المهمة .. »

ــ « مثل من ؟.. شكسبير ؟ »

ــ « تقريبًا .. سوف تفهمين أكثر عندما تقابلينهم .. »

7 ـ ما قبل ألف ليلة وليلة ..

السادة الجالسون كانوا مرعبين حقًا ..

لو كان هذا معرضًا للحى والسوالف الكثة والثياب الفكتورية ، فهو أنجح معرض ممكن .. وكانوا يرمقونها فى شك وكراهية ..

جلست عبير إلى المنضدة وأدركت انها لحظة عسيرة أخرى من لحظات فانتازيا .. لكنها على الأقل اطمأنت لوجود المرشد .. بدا لها الأمر كأنها مقبلة على محاضرة يلقيها عدة أشخاص ..

وقف المرشد فى مركز الصدارة من المنضدة حسب قواعد الاتيكيت ، وفرد صدره وقال بطريقة خطابية:

ـ « مما يسعدنا أن يكون معنا هنا المسيو (أنطوان جالان Galland) الذى ينسب له أنه ترجم الليالى للأوروبيين للمرة الأولى عام 1717 .. وقد سمع هذه القصص من أحد المسيحيين فى حلب ـ سوريا .. لقد كان نجاح هذه الترجمة ساحقًا .. »

ثم أشار إلى رجل بريطانى الملامح ملتح مخيف جدًا .. تذكرت (عبير) أنها تعرفه لكنها لم تذكر أين ، فقال المرشد :

ـ « عند منابع النيل سبق لك لقاء السير (بيرتون Burton) . إنه مغامر شهير وخبير لغات شرقية وأفاق ونصاب كذلك .. يـذكر التاريخ أنه تنكر كتاجر تركى مسلم كى يدخل مكة ويرى كيف يبدو الحج ، وقد ترجم ألف ليلة وكتاب كاما سوترا الهندى بلا حـذف .. كانت هذه خطوة جريئة جدًّا فى إنجلترا الفكتورية .. إن ألف ليلة وليلة مليئة بما لا يصح أن يقرأه صغار السن كما تعرفين .. »

نظر لها السير بيرتون نظرة وقحة وراحت عيناه تجولان فيما يتجاوز وجهها ، فأدركت أنه اسـتحق سـمعته كرجـل شـديد الشهوانية .. لقد وجد ضالته فى ألف ليلة وليلة وكتـاب كامـا سوترا الهندى الذى هو فى الحقيقـة مرجـع لتعلـيم العلاقـات الشهوانية . زاد الطين بلة بقيامه بإضافة ملاحظاته الخاصـة .. يعنى من دون إضافاته كان يمكن لبعض المقاطع أن تمر علـى من يقرأ ، لكن الرجل حرص على أن يتغزل بها ويبرزها . على كل حال كانت ترجمته لألف ليلة هى الأكمل على الإطلاق ..

أما الأخ الثالث فهو :

ـ « دكتور (ماردو) الفرنسى الذى أصـدر ترجمـة عـام 1898 .. »

أخرج بيرتون سيجارًا عملاقًا قضم من طرفه قطعة وأشعله فتصاعدت سحابة كثيفة عطرة الرائحة ، وسعل مرتين ثم قال:

ـ « كتاب ألف ليلة كتاب بالغ الأهمية .. يمكن بلا مبالغة القول إنه هو من صنع (جوته) و(لافكرافت) و(إدجار آلان بو) و(فلوبير) و(دوما) و(شوسر) و(بوكاتشيو) و(كونان دويل) و(ويلز) و(كويليو) و.. و .. لقد قدم للغرب فن الخيال وفن السرد ، ومن تحت عباءة ألف ليلة نضج الأدب الغربى .. وهو اليوم يعيد تصدير نفسه للشرق من جديد... رباه ! »

ونفث سحابة كثيفة أخرى من الدخان وقال :

ـ « أنا فخور بما قمت به ! »

هنا تدخل جالان فوقف كالمحاضرين وقال :

ـ « هناك قصة محورية هيكلية هى قصة شهريار مع شهرزاد .. ثم تتفرع القصص التى تحكيها هى ، وكل قصة تقود لقصة قد تقود لقصة أخرى .. فى هذه القصص تجدين آلاف الحيل الأدبية .. لا توجد حيلة أدبية معروفة لم تتطرق لها ألف ليلة وليلة .. »

سألت (عبير) فى حرج :

ـ « آسفة على السؤال الغبى .. لكن من هو المؤلف ؟.. »

ـ « لا أحد .. لا أحد يعرف .. لقد ذابت فـى هـذا الوعـاء قصص فارسية وهندية وعربية ومصرية .. مثلاً قصة شـهريار مع شهرزاد لها أصل هندى واضح .. هناك من وجد قصصًا تمت لحضارة ما بين النهرين ، والبعض وجد قصصًا لها أصل يونانى مؤكد. يمكن القول إنه الشرق وقد تم تذويبه فى كتاب واحـد .. لا يوجد كتاب آخر يحوى هذا الخليط الـساحر مـن العفاريـت والسحر والشخصيات الحقيقية والخيالية .. »

قال بيرتون ولعابه يسيل :

ـ « ولا كل هذا القدر من الإثارة الشهوانية .. »

كانت عبير تعرف أن المجتمع الذى تتحدث عنه الليالى مجتمع ماجن عابث .. الكل يشرب الخمر بسهولة تامة ، والكل يقـضى وقته مع الجوارى ، وكل امرأة خائنة بطبعها . الشريفة شـريفة لأنها لم تجد فرصة للانحراف بعد . لهذا كانـت معظـم النـسخ الموجودة فى السوق المصرية نسخًا مراقبـة بعنايـة .. وفـى

الحقيقة لم تفقد الكثير من روعتها بعد هذا التهذيب ، مما يدل على أن العنصر الشهوانى مقحم ..

قال جالان مواصلاً محاضرته :

ـ « يتكرر كثيرًا ظهور هارون الرشيد ووزيره جعفر .. هارون الرشيد هنا شخصية مخلقة بالكامل تختلف عن الشخصية التاريخية ، فهو عابث يقضى الوقت مع الجوارى ويتسلى بهذه القصص المسلية التى ترد له . هنا خطأ تاريخى واضح لأن الدولة الساسانية زالت قبل هارون الرشيد بمائتى عام .. إذن كيف تحكى شهرزاد لشهريار ـ وهو من ملوك الساسان ـ عن هارون الرشيد الذى سيأتى بعده بقرنين ؟ »

جلس الرجل فنهض دكتور (مارادو) الفرنسى واتجه نحو لوح كتابة وبدأ يشخبط عليه بقطعة من الطبشور .. كان يرسم دوائر داخل دوائر .. لا .. هذه ليست دائرة بل حلقة دخان من سيجار بيرتون. قال مارادو:

ـ « القصة داخل القصة .. التقنية الأهم فى ألف ليلة وليلة .. تقليد فارسى قديم .. هناك تقنيات أخرى مهمة مثل (الإرهاص) أو (الغرس) .. حيث تقدمين معلومة أو شخصية لا يعرف

القارئ أهميتها.. لكن اهميتها تتضح فيما بعد. هناك ألعاب زمنية خبيثة تتكرر فى عدة قصص وهى ألعاب متقدمة جـدًا تقنيًـا .. هناك الحلم المتبادل .. هناك النبوءة التى تتحقق .. »

قال بيرتون وهو ينفث سحابة كثيفة أخرى :

ـ « إن ألف ليلة وليلة مزيج لعدة ثقافات ، لكن فى النهايـة لها مذاق عربى عراقى أصيل .. إن بغداد فى كل مكـان منهـا وتتنفس فى كل صفحة .. لغة السرد ذاتها تشى بأن الراوى من بغداد .. »

كانت عبير تصغى فى رهبة محاولة أن تحتفظ بهذا الكلام فلا تنساه .. معلومات كثيرة لكن كيف تنتفع بها؟. الحقيقة أنها لـم تشعر قط أن الكتاب بهذه الأهمية .. كانت تعتبره مجـرد كتـاب مسل ، لكن كلام هؤلاء القوم يوحى بأنه مجرة ثقافية كاملة .

قال جالان مواصلاً سباق قذف الطوب على رأسها :

ـ « يغلب الظن أن ألف ليلة وليلة وضعت بين القرنين الثالث عشر والرابـع عشر ، لكنهـا لم تكـف عن النمـو منذ ذلـك الحين .. »

ثم نظر لها نظرة خطيرة كأنه مدير مخابرات فرغ من شـرح المهمة لعميله :

ـ « النصيحة هي: لتكن نقطة ارتكازك بغداد .. تنطلقين منها وتعودين لها .. اختلطى بالناس وحاولى أن تجدى قصصًا .. إن هذا التراث الإنسانى العملاق أمانة بين يديك ، ولولا أن شهريار تهور وقتل شهرزاد لظل هذا التراث حيًا للأبد .. لكنـه موشـك على الانقراض .. وبانقراضه لن يكون هناك أدب معاصر .. نعم .. إن الأمر بهذه الخطورة فعلاً ... »

قال بيرتون وهو ينفض رماد السيجار على شرشف المائـدة الأبيض الأنيق :

ـ « هناك قواعد عدة سوف تتعلمينها .. مثلاً النساء العجائز خطرات جدًا ولا يمكن الوثوق فيهن .. بالذات اللاتـى يظهـرن تدينهن وورعهن . كل إنسان فى ألف ليلة وليلة يشرب الخمـر ببساطة حتى لو لم يذقها طيلة حياته من قبل . الإيمان بالقدريـة شديد جدًا .. كل الناس صيادون أو أمراء .. كل الجوارى يحفظن القرآن والشعر العربى وخبيرات فى الطب وعلم الفلك والفقه .. هارون الرشيد موجود فى كل مكـان ومتنكـر دائمًـا .. العـدد

أربعون مهم جدًا وكذلك العدد ثلاثة .. كل النساء خائنات تقريبًـا .. الجان فى كل مكان .. كل إنسان ينشد الشعر فى أية لحظـــة ، وطريقة استحسان الشعر هى أن يشق المرء ثيابه ويغشى عليه .. العطور مهمة جدًا ومن علامات الترف .. ســوف تلاحظــين المساواة الكاملة بين الأديان والتسامح الشديد .. قلت للأوروبيين إن اليهود لم ينالوا قط تدليلاً كالذى نالوه فــى العــصر الــذهبى الإسلامى ، فلم يصدقنى أحد .. »

راحت عبير تدون بسرعة كل هذا فى مفكرة صــغيرة ، فلمــا انتهت ساد صمت رهيب ..

أخيرًا قال لها المرشد :

ــ « هيا بنا .. الوقت ضيق !! »

8 ـ ما هى الزرباجة ؟

كانت عبير تركب بغلة وتمشى فى سوق شرقية ما ..

لم تعرف أين هى بالتحديد .. على الأرجح هى فى بغداد ...

أمامها يركض عبد من عبيد القصص حافيًا عملاقًا ، وخلفها يركض عبد آخر ..

إذن هى ثرية ومن الواضح أنها فاتنة ... إن هذا المنظر الغامض اللافت للنظر هو تقريبًا مشهد ظهور كل حسناء فى ألف ليلة وليلة ..

لاحظت ذلك الرجل الذى يلبس ثيابًا عصرية نوعًا ويضع العوينات ، ويبدو مثل تشيكوف إلى حد ما .. كان يمشى جوار البغلة بنفس سرعتها ويدندن شيئًا ثم يدون كلمات فى مفكرة يحملها ... لم تكن بحاجة إلى السؤال :

ـ « أنت الموسيقار الروسى ريمسكى كورساكوف طبعًا .. »

أحنى رأسه فى تهذيب وقال وهو يلهث من فرط المشى الحثيث :

ـ « بعينه .. أنا منهمك فى كتابة مقطوعة شـــهرزاد التـــى ستخلد اسمى .. لكن الفوضى التى حدثت فى الليالى كادت تـــدمر إلهامى تمامًا .. »

قالت عبير وهى تركل خاصرة البغلة :

ـ « لا أعرف كيف يكتبون الموسيقا ، لكنـــى فقـــط أهنئـــك عليها ، وأطلب منك ألا تتدخل أو تعوق مغامراتى .. »

ـ « هذا آخر شىء أريده .. »

وسرعان ما كان مشيه قد تأخر عن مسيرتها كثيرًا ...

توقفت البغلة عند متجر ثياب على جانب الطريـــق ، وهـــرع العبد إلى الداخل ثم عاد بالتاجر ، وهو شاب وسيم بـــدا عليـــه الذعر .. ثم رآها فبدا عليه الذهول فالإعجاب ..

ككل فتيات هذه القصص ازاحت الخمار قلـــيلاً لتـــسمح لـــذلك السهم الفاتن بأن يخترقه ، وشعرت بنشوة كاملـــة عنـــدما رأت تأثير هذه الطعنة عليه ..

ـ « يا فتى .. هل عندك ثياب جميلة ؟ »

لم يكن عنده لكنه كعادة التجار قادر على أن يأتيها بما تريد من التجار الآخرين ، وقد راح يركض هنا وهناك يأتى لها بالعينات من الثياب وهى تختار فى كبرياء .. هذا يصلح .. لا أعرف بصدد هذا .. ربما لو كان هذا اللون أغمق ..

ثم إنها سألته من هو ...

قال فى شيء من الحياء :

ـ « أنا ابن تاجر كبير من بغداد ، لكن أبى كان مولعًا باللهو فلم يترك لى إلا الديون .. لكنى استطعت بصعوبة بالغة أن أسدد الديون وأبدأ فى الكسب .. » ـ وراح يحصى ما أخذته وقال ـ "خمسة آلاف درهم .. ليس بالمبلغ الهين .. »

ثم صمت .. وأدركت أنه يخجل من أن يطالبها بالدفع ... جميل .. ليس معها مال الآن ..

كانت الآن تعرف أنها جارية (زبيدة) زوجة هارون الرشيد شخصيًا .. إنها بمثابة طفلتها المدللة .. لا مشكلة فى شراء الثياب الفاخرة فهى قادرة على الدفع ..

هكذا أخذت الثياب وانصرفت ..



ولم تدر أن الفتى لن ينام ليلته .. ليس بسبب القلق على المال .. إن أبطال ألف ليلة وليلة لا يسهرون لأسـباب كهـذه ، ولكـن يسهرون بسبب الهوى وتباريحه ..

فى الأسبوع التالى عادت إلى السوق .. إلى نفس الشاب ..

كما توقعت لم يسألها عن المال ، وراح كالأبلـه يجلـب لهـا أثوابًا وأقمشة جديدة .. إلا أنها قررت أن ترفق به هـذه المـرة فأخرجت تلك الزكيبة المألوفة المليئة بالذهب وقالت فى دلال:

ـ « هات الميزان وزن مالك .. »

وبالفعل دفعت ثمن ما أخذته وأجزلت له العطاء .. ثم سـألته بطريقة عابرة :

ـ « هل لك زوجة ؟ »

قال متلعثمًا :

ـ « لا .. أنا غير متزوج .. »

تهيأت للرحيل مع عبديها ..

وعند ركن الشارع انتحت جانبًا بأحد العبدين وطلبت منـه أن ينقل للفتى الرسالة التالية .. هى ترغب فـى الـزواج منـه .. سيدتها (زبيدة) موافقة بشرط أن ترى الفتـى جيـدًا .. علـى الفتى أن يذهب لقصر هارون الرشيد ليخضع لمقابلة شخصية مع السيدة (زبيدة) .. الاختبار الأهم هو ألا يشعر به أحد .. فـإن شعر به أحد كان الثمن عنقه ..

ذهب العبد للتاجر وتم الاتفاق معه ...

وفى المساء ذهب التاجر الشاب المفعم حبًا إلى المسجد الذى بنته زبيده على نهر دجلة ، فصلى العشاء ثم أمضى الليل هنـاك ..كانت هذه هى التعليمات ..

فى المسجد كانت هناك صناديق فارغة ، وعـرف الفتـى أن عليه أن يتوارى فى صندوق منها ...

تم كل شىء بسرعة وتم نقل الصناديق إلى القصر. وعنـدما انفتح الصندوق وجد الفتى نفسه وسط عشرين جاريـة بارعـة الحسن ، ووسطهن السيدة زبيدة شخصيًا ..

إنها سيدة أريبة بالتأكيد .. من تنجح فى السيطرة على هارون الرشيد وتظل زوجته كل هذه الأعوام هى امرأة تملك دهاء عدة قواد ..

لم تكن عبير فى المجلس .. كانت واقفة وراء ستار تراقب اللقاء .. تراقب أسئلة زبيدة الدقيقة الصارمة للفتى .. تريد أن تعرف من أبوه ومن أمه ومن أين جاء بماله .. ثم فى النهاية قالت :

ـ « أنا موافقة .. سوف تقيم معنا لمدة عشرة أيام إلى أن أطلب الإذن من الخليفة .. »

كاد الفتى يطير فرحًا وهوى على الأرض يلثمها بين قدمى زبيده .. بينما أبدت هى التأفف الأرستقراطى المناسب ..

تم كتب الكتاب وصارت عبير عروسًا للفتى ..

جلست عبير فى قمة زينتها إلى مأدبة العروسين ، وكانت المأدبة مليئة بأصناف لا يمكن تبينها .. إنه المطبخ العباسى المترف ..

كان هناك طبق عملاق فيه شىء لا يمكن فهمه .. ربما طاووس محمر أو حوت مدخن أو حوت التهم طاووسًا .. مالت عبير على الجارية جوارها وسألتها عن هذا فقالت :

ـ « خافقية زرباجة محشوة بالسكر ، وعليها ماء ورد ممسك ، وفيها أصناف الدجاج المحمرة ، وغيره من سائر الألوان مما يدهش العقول .. »

ـ مما يدهش العقول ؟.. وما دخل السكر وماء الورد بالدجاج ؟.. على كل حال هذا دائمًا هو وصف الطعام فى قصص ألـف ليلـة وليلة ، كما أن للهوى عبارات محددة تتكرر فى كل مرة ، ممـا يدل على ان مؤلفى ألف ليلة وليلة كانوا يصـفون مـا يتحلـب لعابهم من أجله.. هذا نوع من إشعال الخيال الشعبى ..

الفتى كان يحب الزرباجة كما هو واضح لأنه انقـض عليهـا انقضاضًا ، لدرجة أن (عبير) لم تفهم مكوناتها .. فقـد لـوث لحيته وفمه وأنامله كطفل يلتهم (السريلاك) ..

انتهى من الأكل فمسح يديه وتجشأ بصوت عال ، بينما جاءت الزفة .. الزفة مجموعة من الجوارى يحملن الـشموع ويقـدن العروسين إلى المخدع ..

لما صارت وحدها معه فى ضوء الشموع ، وضع يـده علـى كتفها .. هنا اكتشفت شيئًا .. هى لا تعرف ما هى الزرباجة لكن لها ألعن رائحة يمكن وصفها عندما تلتصق باليد ..

صاحت فى جنون :

ـ « ألم تغسل يدك ؟ »

قال فى ارتباك :



ـ « بلى .. لكن .. نعم . اكتفيت بمسحها .. »

كانت الرائحة تثير جنونها... وأدركت أنها تمر بحالــة مــن الهستيريا لا مثيل لها .

صرخت منادية الجوارى :

ـ « تعالين حالاً !! »

امتلأ المخدع بالجوارى الفاتنات ، لكنهن مــع العــدد الكبيــر صرن مرعبات .. وقالت لهن :

ـ « هاتوا (متولى)... ليقطع يده التى أكل بها الزرباجة ولم يغسلها ! »

قطع يد ؟.. لماذا قالت هذا ؟.. الأمر لا يستحق هذه الضوضاء والفتى لم يأكل فسيخًا مثلاً ليستحق !.. لكنها أدركت أنها تنفــذ خطوات قصة ما ..

لما بدت الجوارى غير متحمسات لهذا العقاب أمرتهن عبيــر بأن ينادين متولى .. اسم غريب جدًّا لجلاد لكنه ما حدث ..

قيدت البنات الفتى على حين قطع متولى بالموسى إبهامى يديــه وإبهامى قدميه .. الفتى يصرخ فى جنون صراخ من يُقطع إبهاماه ..

ـ « أقسم بالله ألا آكل الزرباجة بعد اليوم ، إلا وقد غسلت يدى مئة وعشرين مرة بعدها .. أى !... »

ثم فقد الوعى ..

الآن كان على (عبير) أن تعنى به وترفق به حتى يسترد صحته .. كأنها هدأت لما سمعت هذا القسم العجيب ..

عادت الأمور لمستقرها بعد هذا ، كأنه من الطبيعى جدًا أن تقطع الزوجة أصابع زوجها لأنه لم يغسلها .. لقد عادا زوجين متحابين سعيدين .. لكن الفتى ظل يحمل عقدة الزرباجة ويتحاشى أكلها فى أى وليمة ، إلا بالطبع لو كان ينوى أن يغسل يديه 120 مرة ..

دونت عبير تفاصيل هذه القصة ، ولم تدر كيف تستفيد منها .. أضف لهذا أنها تافهة ، والأسوأ أن يكون مغزاها الأخلاقى هو: اغسل يدك قبل الأكل وبعده ..

على كل حال هى ما زالت تستكشف عوالم القصص ..

* * *

وجدت نفسها فى بلاط شرقى يبدو كأنه لملك صينى أو يابانى ..



على عرش عظيم جلس الملك العظيم الذى يجيد العربية كأهلهـا ككل ملوك ألف ليلة وليلة .. وكان متحمسًا يصدر الأوامر لرجاله :

ـ « أريد أن تكتبوا هذه القصة بماء الذهب ! »

أية قصة ؟.. لابد أنها رائعة ..

على كل حال أية قصة تروق للوالى أو الحاكم تكتــب بمــاء الذهب .. كما أنها دائمًا (لو كتبت بالإبر علــى آمــاق البــصر لصارت عبرة لمن يعتبر) . كل القصص مذهلة ويجب تخليــدها للأجيال القادمة .

أمام الملك الصينى كان رجل يلبس كخيــاط .. كيــف يلــبس الخياط ؟.. هذه أسئلة بديهية لا داعى لإضاعة الوقت فيها ..

كانت هناك جثة راقدة على الأرض على جانبها .. أما لمــاذا أرقدوها على جانبها فلأن صاحبها أحدب .. وكان فمه مفتوحًــا مع علامات اختناق واضحة تتبدى فى لونه ..

لو كانت عبير ذات خبرة طبية لشقت قصبة الرجل الهوائيــة وغرست فيها أنبوبًا ، أو لقامت بمناورة هايمليخ التــى تحــول أحشاءه إلى مدفع يقذف بما استقر فى الحنجرة ..

القصة كما فهمتها عبير هى أن الخياط كان متهمًا بقتل الأحدب .. الخياط يؤكد أن الوفاة قضاء وقدر ، لأنه دعا الأحدب للعشاء فى بيته .. كان هذا العشاء سمكًا مقليًا وخبزًا وليمونًا. يبدو أن الأحدب ازدرد قطعة سمك هائلةبما فيها من شوك.. فتورم حلقه ومات .. ولم يعرف الخياط ما يفعله فتخلص من الجثة ..

كان هناك طبيب .. والطبيب فى ذلك العصر كان على الأرجح مزينًا ـ حلاقًا ـ وقد راح يتفحص المتوفى ويفتح حلقه .. ثم هتف :

ـ « الأحدب حى يا ملك الزمان ! »

كان الملك يحب هذا الأحدب فعلاً ، لأنه يضحكه .. وقد بدت له ميتته قاسية فعلاً لأنه يعنى مستقبلاً مملاً .. دنا فى وقار من المشهد أكثر ومط عنقه .. طبعًا كان من المفهوم أنه سيقطع رقبة المزين لو كان يهذى ..

أخرج المزين من حزامه عدة طبية كاملة : مكحلة بها دهان. دهن به عنق الأحدب الميت ، ثم أخرج كلابين وفتح فم الرجل وبعناية التقط قطعة السمك ...

هنا فقط سعل الأحدب وعطس ثم نهض وهو يردد :

ـ « لا إله إلا الله .. محمد رسول الله .. »

انفجر ملك الصين يضحك .. يهتز .. يضحك .. عيناه دامعتان . كرشه يهتز .. ثم فقد وعيه وهو ما بـــدا غريبًـــا لعبيـــر لأن الموقف لم يكن ظريفًا لهذا الحد ..

لما أفاق الملك أمر بكتابة القصة بماء الذهب ، ثم خلع علـــى الخياط والمزين وعبير ..

قالت عبير فى خجل :

ـ « لكنى لم ... »

لكن أحد العبيد نظر لها نظرة مخيفة .. ليس هذا وقت الرفض والقبول ..

هكذا انصرفت (عبير) وهى تفكر فى هذه القصة .. أحـــدب حسبوه مات لكنه لم يمت .. ما الجديد فى هذا وما الطريف ؟

لو حكت هذه القصص لشهريار لكان عليها أن تحفـــر قبرهـــا أولاً .

9 ـ مقلب ساخن ..

أحيانًا يكون الانتقام شهيًا .. خاصة عندما يقوم به زوج غيور ..

المشكلة هنا أن الزوجين هما اللذان استدرجا الفتى لهذا الشرك ، وهذه تيمة تتكرر كثيرًا فى ألف ليلة وليلة ..

كانت عبير متزوجة .. المكان هو بغداد ..

هناك نافذة جميلة ذات طرز عربى رائع من النوع الذى نسميه عندنا (مشربية) ، ومنها كانت تطل على زقاق .. الزقاق فيه متجر خياط على الجهة الأخرى ..

كان الخياط جالسًا وقد وضع رجلاً على رجل وراح يخيط بعض قطع الثياب ، ثم نظر لأعلى فالتقت عيناه بها .. الكهرباء !.. السحر ! رأت عبير فى عينيه الانبهار المجنون بها ، وعرفت أنها على الأرجح ستكون فاتنة فى أغلب هذه القصص ..

هكذا لم يعد يخيط شيئًا تقريبًا .. أو للدقة صار يخيط أصابعه إلى بعضها ..

زوج عبير التقط الخيط .. ألقى نظرة على الزقاق وعرف ما هنالك ..

من دون كلمة حمل مجموعة من الأقمشة ونزل للخياط وطلب منه أن يفصل له هذا القماش قمصانًا ..

كان الخياط قد تحول بفعل الهوى إلى إنسان آلى ، لـــذا هــز رأسه موافقًا وراح يخيط ويخيط ..

فى نهاية اليوم جاءه الزوج ليأخذ عشرين قميصًا وسأل عــن الثمن ..

هنا نظر الخياط إلى عبير فى المشربية ، فلوحت بيدها أن لا .. لا تأخذ منه شيئًا !.. هذه القمصان تخصها .

هكذا لم يتقاض شيئًا .. وقع فى عملية نصب ممتازة تعتــصر جهده كله ..

* * *

ككل قصص ألف ليلة وليلة لابد من جارية تأتى للرجل وتخبره أن سيدتها ترغب فى لقياه .. أين ؟.. فى الطاحونة تحت البيت ..

هكذا دق قلب الخياط واجفًا وعندما جــاء الليــل اتجــه إلــى الطاحونة .. الظلام دامس لكن الغرام يجعله شجاعًا ..

ذهب زوج عبير إلى الطحان وطلب منه تلك الخدمة ... هناك ثور آدمى فى الطاحونة وهو بحاجة إلى بعض التأديب ..

هكذا ذهب الطحان إلى الطاحونة فى الظلام ، وأمسك بالخياط وربطه فى حجر الطاحون وهو يقول :

ــ « هذا الثور كسول برغم أن كمية القمح المطلوبة منى كثيرة .. سوف أربطه فى الحجر حتى الصباح ! »

وهكذا لم يجرؤ الخياط على الكلام ، ووجد نفسه يدير الحجر فى صمت .. بينما تنهال عليه ضربات السياط ..

لم ينقذه إلا الفجر وقدوم الجارية لتحرره .. وتعتذر له ، لكنه كان عاجزًا عن الكلام ..

عاد للسوق والمتجر كل عظمة فى جسده تؤلمه ، فقرر أن ينسى كل شىء عن الحب .. لكن (عبير) أرسلت له الجارية كالعادة :

ــ « سيدتى مشتاقة لك وهى تقف فوق السطح بانتظارك .. »

خرج الرجل متشككًا خائفًا ليكلم عبير .. فقالت له من أعلى :

ــ « لماذا قطعت التعامل بيننا ؟.. أقسم بالله إن ما حدث فى الطاحونة لم يكن لى فيه ذنب .. »

وقالت له الجارية إن زوج عبير سيبيت خارج البيت هذه الليلة . هذا سيتيح فرص الوصال ..

هكذا ابتلع الثور الأحمق الطعم وذهب فى المساء إلـــى حيـــث كانت عبير .. مد يده لها لكن يدًا أخرى هوت على قفاه ووجـــد نفسه يطير فى الهواء ..

وسرعان ما وجد الزوج يحمله إلى صاحب الشرطة ــ وهـــو الاسم القديم للمخفر ــ فتولوا ضربه علقة ساخنة بالسياط ، ثـــم أركبوه جملاً وطافوا به شوارعِ بغداد .. طبعًا كانت هذه أســـعد لحظة فى حياة الصبية الذين تولوا ضربه بالطوب وسكبت النساء الماء القذر عليه ...

لم تنته آلامه لأنه سقط من فوق الجمل فكسرت قدمه .. هكذا صار أعرج ....

هذه هى القصة كلها !....

مقلب لا بأس به لكنه لا يصلح كى يكون حكاية .. دعك مـــن أن الحب كما هو واضح لا ينتصر أبدًا فى قصص ألف ليلة وليلة هذه ..

كانت عبير تشعر بمزيج من التوتر وخيبة الأمل وهى تنطلـــق لتعيش قصة أخرى ....

* * *

هكذا راحت تجمع القصص .. تصغى وتتابع وأحيانًا تشارك ..

لاحظت أن هناك مجموعة من القصص تتشابه كثيرًا .. هناك شاب وسيم فى متجر ، تاجر أو خياط ، ثم تظهر له فتاة فاتنة تذهل عقله .. بعد هذا يتورط الفتى فى شىء ما .. هناك عدد أكثر من اللازم من الأطراف المبتورة .. أكثر من شاب فقد يده لأنه اتهم بالسرقة ..

هل هذا يحمل بصمة مؤلف واحد ؟..

مثلاً القصة التى كانت تعيش أحداثها هذه الأيام وكانت تدور فى مصر بالذات ، كانت أحداثها كما يلى :

هناك شاب وسيم فاخر الثياب يأكل مع تاجر مسيحى ، والملاحظ أن الشاب لا يستعمل سوى يده اليسرى مما يثير فضول المسيحى ..

سأله التاجر:

ـ « لماذا تأكل بيدك اليسرى ؟.. هل باليمنى عاهة ما ؟ »

ككل واحد من أبطال ألف ليلة وليلة كان الشاب جاهزًا ببيتى شعر :

ـ خليلى لا تســـأل على ما بمهجتى

مــن اللوعــة الحــرى فتظهر أسقام

ـ وما عن رضا فارقت سلمى معوضًا

ولكـــن للضـــرورة أحـــكام

طبعًا مقطع شعر ردىء .. معظم أشعار ألف ليلة وليلة رديئة لكن لها تأثير السحر على الأبطال ، الذين يغشى عليهم أو يـشقون ثيابهم أو يصرخون من الطرب فترتج القاعة من هول صرختهم ..

ثم إن الشاب أخرج ذراعه المتوارية خلف ثيابه فاتضح أنهـا مبتورة ..

بدأ يحكى قصته .. معظم أبطال ألف ليلة وليلــة لهـم قـصة طويلة معقدة ...

لقد جاء الفتى من بغداد ليبيع القماش ، وذهب إلى مكان يـدعى قيصرية جرجس حيث حاول أن يبيع بضاعته مرة واحدة .. لـم يستطع سوى أن يحصل على أمواله بالتقسيط ... وموعد القسط هو الاثنين والخميس من كل أسبوع ..

ـ « دخلت الحمام يوماً من الأيام وخرجت إلى الخان ودخلت موضعى ، وأفطرت على قدح من الشراب ، ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت ، وذهبت إلى دكان تاجر يقال له: بدر الدين البستانى فلما رآنى رحب بى وتحدث معى ساعة فى دكانه"

هنا ظهرت عبير كالعادة ..

فتاة فاتنة تذهب العقول جاءت لتأخذ قطعة من القماش المشغول بالذهب . سوف تنقد بدر الدين ماله بعد أيام ، لكن بدر الدين طلب ماله حالاً .. لأن الفتى جالس ينتظر وهذا موعد حصوله على القسط الأسبوعى الخاص به ..

نظرت عبير إلى الفتى نظرة من تلك النظرات التى تذهل الرجال ، وابتسمت .. وكانت تعرف ما سيحدث .. الشهامة سوف تتحرك به إلى درجة انه سيعرض عليها أن تأخذ ما تريد وتسدده فيما بعد .. فيما بعد .. ربما بعد ألف عام ..

إن رجال ألف ليلة وليلة يضعون الحب والجمال فى المرتبة رقم واحد. وهم أقرب إلى البلاهة يسهل خداعهم .. إن هرموناتهم هى صاحبة الكلمة الأولى فى أى قرار يتخذونه ..

لما رحلت الفتاة ظل الفتى يحدق فى الفراغ مذهولاً ، ويبدو أنه نسى أين هو ..

قال التاجر (بدر الدين) بلهجة العارفين :

ـ « إنها غنية .. هى ابنة أمير ، وقد ورثت ثروته .. »

الآن يعود الفتى إلى الخان الذى يقيم فيه ، فيمارس أهم دور لأبطال ألف ليلة وليلة .. لا ينام .. لا يأكل .. مقــروح الجفــن لا خليل له سوى لواعج الغرام وتباريح الهوى ..

ومن جديد تأتيه الجارية لتبلغه أن سيدتها تهيم به حبًا ، وأنها تدعوه للقائها .. عليه أن يصلى الجمعة ثم يتوجه إلى باب زويلة ثم يسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبى شامة .. هذا هو عنوانها .. لا تنس أن الفتى عراقى والوصــول لهــذا العنــوان مشكلة ..

خليط عجيب جدًا من التدين والــصلاة والخمــر والعربــدة .. خليط لا يمكن فهمه فعلاً ، لكننا اعتدناه فى صفحات ألــف ليلــة وليلة ..

* * *

دق الفتى الباب ففتحت له جاريتان كأنهما قمران ، وقالتا له :

ـ « أدخل .. إن سيدتنا تموت شوقًا لك .. »

كانت القاعة مغلقة بسبعة أبواب ، وفى دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الألوان ، وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة ، وهى مبيضة بياضاً سلطانياً يرى الإنسان وجهه فيها ، وسقفها مطلى بذهب وفى دائرها طرزات مكتوبة باللازورد ، قد حوت أوصافًا حسنة وأضاءت للناظرين ، وأرضها مفروشة بالرخام المجزع ، وفى أرضها فسقية ، وفى أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب ..

هذا هو وصف الأماكن غالبًا ... كل مكان مذهل يذهب بالعقول ..

أما عن الطعام الذى قدمته عبير فهو كالعادة :

« سفرة من أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشو .. »

بعد الأكل قدموا له الطست والإبريق فغسل يده ثم تطيب بماء الورد والمسك .. هذه هى الطقوس ..

فى الليلة التالية عاد الفتى .. وقد غلبته عادة سيئة هى أن يترك لها فى كل مرة منديلاً به دنانير ، كما أنه يعد فى كل يوم عشاء فاخرًا ويرسله لعبير مع (حمّار). الطريقة القديمة لخدمة الدليفرى .

يومًا بعد يوم بعد يوم ... لقد أفلس الفتى ..

إن الإفلاس مع الرغبة فى البذخ مع الحب عوامل ثلاثة تقود المرء إلى الجنون ..

والجنون الذى وقع فيه الفتى هو أنه كان ذاهبًا للقاء حبيبته ، عندما اصطدم بجندى .. لا أحد يسرق جنديًا ما لم يكن مجنونًا ، والفتى مجنون ... مد يده إلى صرة المال المعلقــة فــى نطــاق الجندى وأخذها ..

هنا نقول من جديد إنه ما من أحد يحاول نشل جندى وهو لم ينشل فى حياته ما لم يكن مخبولاً ، والفتى مخبول .. هكذا شعر الجندى بيد الفتى الثقيلة وهى تنتزع ماله ..

هوى على وجهه بصفعة ثم اثنتين .. وسرعان ما التف الناس حول المشهد المهيب وتلقى الفتى علقة ممتازة .

حدث هذا أثناء قدوم الوالى ..

كانت السرقة ثابتة ، والشهود كثيرون .. وهكذا أصدر الوالى أمره بقطع يد الفتى اليمنى ..

هكذا وقف الفتى ينزف وقد فقد يده اليمنى للأبد .. ورق لــه قلب الواقفين ، حتى أن الجندى ترك له الكيس بما كان فيه مــن مال .. وقال له إن السرقة حرام ، فأنشد الفتى :

ــ والله ما كنـــت لصـــًا يا أخا ثقـــة

ولم أكن ســـارقًا يا أحســـن النـــاس

ولكن رمتنى صروف الدهر عن عجل

فزاد همـــى ووســـواس إفـــلاســـى

يجب على المرء أن يتحلى بالصبر .. هذا الفتى قطعت يده منذ عشر دقائق ، ولا شك أنه يتألم كأنه فى الجحيم ، وينـــزف بـــلا توقف ، لكنه قادر على أن يتكلم شعرًا .. دعـــك مـــن المنطـــق الغريب .. والله لم يسرق ؟.. إذن ما هو تعريف السرقة ؟

لقد عاد الفتى إلى عبير ولم يخبرها بما حدث له .. قال إنـــه مرهق ويريد أن ينام ..

يبدو أنه من السهل فى ألف ليلة وليلـــة أن تخفـــى أن يـــدك مقطوعة . لقد قلقت عبير وجاءته بشىء من الطعـــام والطعـــام كالعادة هو : « سفرة من أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشو .. »

ــ « لماذا لا تتكلم ؟.. احك لى عما حدث لك اليوم .. »

قدمت له كأسًا من الشراب فرأته يتناوله بيده اليسرى ..

ـــ « لماذا تستعمل يدك اليسرى ؟.. هل تغير مركز التحكم فى مخك ؟ »

لكن الفتى أصر على ألا ترى يده ..

بعد عدة كئوس نام الفتى نومًا عميقًا .. هكذا مدت عبير يدها إلى كمه تعبث .. هكذا رأت اليد المقطوعة .. وفى حزامه وجدت كيس المال .. بما ان النساء عباقرة فقد استنتجت على الفور أنه سرق وقطعت يده .

لم تنم ليلتها بل ذهبت لتذبح له أربع دجاجات ليعــوض الـــدم الذى نزف منه ..

كانت الآن تشعر بشفقة حقيقية عليه مع زهو أنثوى مزعج .. الرجل الذى يحب امرأة لدرجة أن يبدد كل ماله ويسرق وتقطــع يده ، لهو عاشق لا تلقاه المرأة كل يوم .. هى لا تبالى بالمال .. لديها أكثر من حاجتها لكنها بالفعل بحاجة إلى الحب ..

واستدعت الشهود كى تكتب كتابها على الفتى .. ثم قالت لهم :

ــ « اشهدوا أن جميع مالى الذى فى هذا الصندوق وجميــع ما عندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب .. »

المفاجأة هنا هى أنها لم تنفق مليمًا من المال الذى كان يعطيه لها .. كانت تحتفظ به فى صندوق من أجله .. هكذا صارت السرقة وقطع اليد وسيلة للحصول على الحب الأبدى ... يبدو أن الحب من غير يد يمنى له مذاق ألـــذ ...

المفاجأة الأجمل هى أنها ماتت بعد ذلك بخمسين يومًا فتركت له ثروتها كلها .. لقد صار الفتى ثريًا !



10 ـ يجب صنع قصة ..

تجمعت القصص عند (عبير) .. قصص كثيرة جدًا ..

كانت تشعر بتعاسة لأنها لا تعرف كيف تتحرك .. كان شهريار قد أعطاها إجازة لمــدة أسبوعين تحاول فيها اكتساب قــصص جديدة .. قصص لها ذات طابع ما كانت أختها تحكيه .. لا يريــد قصصًا سخيفة عن مدن أوروبية تجتاحها الثورات ، أو صــيادى لؤلؤ مكسيكيين ..

عرفت أن المرشد نجح بصعوبة فى إقناع شهريار بالتخلى عن مزاجه الليلى لمدة أسبوعين ، ويبدو أنه أعطاه مشغلاً صــغيرًا للأقراص المدمجة كى يستمتع بمشاهدة الأفلام فى فراشــه كــل ليلة .. لكن (شهريار) فظ لا يجيد سوى قطع الرقــاب ، وقــد دمر الجهاز على الفور باستعماله الأخرق ..

هكذا عادت إلى القصر مهمومة كاسفة البال ..

استقبلتها الجوارى فقمن بإدخالها الحمــام ونظفــن جــسدها وعطرنها .. ارتدت ثيابًا جديرة بالأميرات ، لكنها كانت مهمومة فعــلاً.. لا تضيعن وقتكن يا فتيات فى تصفيف شــعرى ، فهــذا

الشعر الجميل سوف يستقر على النطع بعد ساعات .. هذه الثياب الحريرية الفاخرة سوف تتلوث بالدم ..

كان أكثر ما يضايقها هو أن تحكى تلك القصص التى تنتهى فجأة .. تقول (تمت) بينما المستمع يتهيأ للمزيد فيصاب بخيبة أمل وينظر لها غير مصدق .. هذه هى مشكلة ما لديها من قصص ..

جلست وطلبت قرطاسًا وريشة ومحبرة .. هذه أشياء يستحيل العثور عليها فى الحريم ، لكن الجوارى استطعن أن يجدن بعضها ..

بدأت تكتب :

1 ـ الصياد الذى حسب أنه قتل الأحدب بشوك السمك . وكان على ملك الصين أن يفصل فى القضية .

2 ـ التاجر الذى خدعه الزوجان ووضعاه فى حجر الطحين .

3 ـ المزين الذى رأى عشرة رجال فحسب أنهم ذاهبون لوليمة وانضم لهم .. طبعًا تبين أنهم ذاهبون كى تقطع رقابهم ! هناك قصة مماثلة بالضبط بطلها أشعب الطفيلى .

4 ـ شاب عاشق تم استدراجه إلى بيت حيث ضـربه عبـد اسود علقة ساخنة ، ،اصيب بالفالج بعدها.

5 ـ رجل أعور كان جزارًا اتهم بأنه يـذبح النـــاس ويبيــع لحومهم .. المشكلة هى ان النـــاس رأوا جثثًـــا معلقـــة فـــى متجره ، وكانت هذه لعبة خبيثة من ساحر شرير .

6 ـ رجل دعاه أحد الخبثاء إلى مأدبة لا طعام فيها .. بل هو نوع من البانتومايم (التمثيل الإيمائى) .. وكان يسخر منــه لكنه رد له الصاع صاعين.

7 ـ الفتى الذى سرق من أجل الحب وقطعت يده .

8 ـ الفتى الذى قطعت زوجته إبهامه لأنه لم يغسل يده بعـد أكل الزرباجة !

9 ـ إلخ ... إلخ ......

سوف تحكى هذا كله من دون حماسة شاعرة بالارتباك وأنها سمجة ، وسوف ينتقل هذا كله لشهريار .. يجب على راوى القصة أن يكون أكثر الناس حماسة لها .. تستطيع سماع شهريار ينـــادى السياف كى يقطع عنقها .. وسوف يبحث فى الغد عن زوجة أخرى .

كانت جالسة أمام المرآة تحدق فى أغبى وأتعس وجه رأته فى حياتها ..

هنا انزاحت الستائر من خلفها ودخل شخص ما ..

شهريار ؟

ليس بهذه السترة السوداء والثياب الحديثة .. إنه المرشد كما هو واضح ..

يتقدم نحوها فى تؤدة وهو ينظر للأرض كما يفعلون فى أفلام الوسترن .. بلغ موضعها أمام المرآة فدس أنامله فى عروة حزامه وقال :

ـ « هل أنت جاهزة للسرد ؟ »

قالت فى غم :

ـ « تجربة فاشلة جدًّا .. »

نظر للقرطاس الذى دونت عليه خواطرها ، ثم انفجر يضحك .. لم تفهم ما هو مضحك فى هذا كله ..

قال لها :



ـ « أنت وقعت على قصص ممتازة .. قصص ألهمت شهرزاد نفسها ... لكن لابد أنك لاحظت الطابع الواحد .. هذه القصص مصدرها مؤلف واحد بلا شك.. هناك دائمًا جو السوق وجو التجار والخياطين والأقمشة .. هناك فاتنة تظهر وتخلب لب رجل ثم يتلقى عقابه .. هناك بتر أطراف وبعض القصص فيها فقء عيون .. يمكننا من هذه اللبنات أن نصنع قصة واحدة طويلة ... »

ثم أخرج قطعة طبشور لا تعرف من أين جاء بها ، وبدأ يخط على الجدار الحجرى ..

التركيب المعروف لألف ليلة وليلة هو الحلقات المتداخلة .. هناك شكل القصص العنقودى كذلك ..

أولاً: هناك القصة المحورية Wraparound التى تبدأ كل شىء وتنهى كل شىء .. إنها قصة شهريار ودنيا زاد ... سوف تبدئين السرد بالطريقة التى تعرفينها ..

ثانيًا : هناك قصة محورية أصغر .. هذه هى قصة الخياط الذى يدعو الأحدب ليأكل عنده .. تنحشر شوكة سمك فى حلق الأحدب ويموت .. يتخلص الزوجان من الجثة .. هنا تقع بعض

المواقف الطريفة ، لأن كل واحد يصطدم بالجثة ويحسب أنه هو القاتل ... يحملان الجثة لجارهما الطبيب اليهودى ويفران ..هنا يجد الطبيب اليهودى نفسه فى موقف عسير .. يتخلص من الجثة فوق سطح جاره المسلم على أمل أن تأكلها الكلاب الضالة . يأتى الجار المسلم ويحسب الجثة لصًا يتربص به فيوكزها بالعصا .. هكذا يخيل له أن عصاه هى سبب موت الأحدب . يحمل الجثة ويتخلص منها عند جاره النصرانى ..النصرانى كان عائدًا فى الظلام فحسب الأحدب لصًا وراح يكيل له الضربات ، هنا مر حارس ليلى وحسب أنه رأى عملية قتل .. هكذا اقتاد النصرانى إلى الوالى .. يقرر الوالى إعدام النصرانى لكن المسلم يعترف بأنه القاتل .. قبل إعدام المسلم يعترف اليهودى أنه الفاعل .. قبل إعدام اليهودى يعترف الخياط أنه الفاعل .. وضع محير !.. سرعان ما يتصاعد الأمر إلى ملك الصين ونعرف هنا أنه كان يحب الأحدب لأنه مضحكه الخاص .. لهذا هو يريد قطع رقاب الجميع .

ثالثًا: هنا يقرر النصرانى أن يحكى قصة للملك لعلها تروق له .. إن ملوك ذلك العصر يتركون القتلة أحرارًا لو كانت لديهم قصة مسلية . عملية الحكم مزاجية تمامًا وتخضع لانبساط الرجل .

تكوين القصة بهذه الطريقة يشبه أغنية (عبد الحليم حافظ) الشهيرة (مبسوط يا سيدى ؟) ؛ حيث يغنى للباشا أغانى قديمة لعله يصفح عنه ولا يدخله السجن .. وفى كل مرة يصر الباشا على أنه لم يستمتع بما يكفى . سوف يحكى النصرانى أنه استضاف شابًا يصر على الأكل باليد اليسرى .. الشاب يحكى له قصة الغرام الذى دفعه للسرقة .. طبعًا لم ترق القصة للملك .. وهكذا ..

رابعًا : يحكى له المسلم قصة الشاب الذى لم يغسل يده بعد الزرباجة . لكن الملك ما زال مصرًا على أن يعدم الجميع .. هكذا ..

خامسًا : يحكى له اليهودى قصة عن شاب يوشك على الزواج من فتاة حسناء ، ويحضر المزين ليحلق ويشذب شعره .. المزين ثرثار جدًّا كعادة الحلاقين .. لا يكف عن الكلام ثانية واحدة ..

سادسًا : يحكى المزين قصته عندما رأى عشرة رجال فحسب أنهم ذاهبون إلى وليمة. تبين أنهم ذاهبون للخليفة كى يقطع أعناقهم .. بعد قطع أعناق عشرة وجد الخليفة العدد زائدًا فطلب من المزين أن يحكى قصته .. يقول المزين للخليفة إنه رجل طيب وإنه أفضل واحد من أخوته الخمسة :

الأخ الأول هو الأحمق الذى ربطوه فى حجر الطاحون ..

الأخ الثانى هو الذى كاد العبد يفتك به وأصيب بالفالج .

الأخ الثالث هو الأعور الجزار الذى اتهموه ببيع لحوم البشر .

الأخ الرابع هو بطل أو ضحية محاولة نصب أخرى .

الأخ الخامس هو الذى تلقى دعوة للعشاء مع ممثل بانتومايم .

سابعًا : يسر الخليفة بالقصة ويعفو عن المزين .

ثامنًا: نعود إلى (ثانيًا).. ما زلنا عند ملك الصين ، وما زالت جثة الأحدب سؤالاً ينتظر الجواب. هنا يمد المزين يده فى حلق الأحدب وينزع الشوكة .. فيعود الأحدب للحياة ..

تاسعًا : نغلق الدائرة ونعود لشهريار ودنيا زاد !.. التى تبدأ قصة أخرى .....

أهنئك .. لقد انتهيت لتوك من تأليف قصة الخياط والأحدب ..

هتفت عبير مصفقة بيديها :

ــ « أنت بارع حقًّا ! »

قال فى غرور:

ــ « طبعًا .. هذه القصص تمنحك عشر ليال على الأقل .. أنت تفهمين الآن كيف تنسجين قصص ألف ليلة وليلة .. »

* * *

عندما جاء المساء كانت (عبير) جاهزة ..

وعندما دخل شهريار المخدع بقامته الفارعة وعطره وجثتـــه العملاقة ، وتمدد على الفراش ينتظر القصص التى ترضى شهوة السمع بعد ما نال شهوة الطعام والنفوذ ..

هنا كانت (عبير) مستعدة لتحكى بصوتها الذى استعارته من زوزو نبيل ، مع صوت موسيقا كورساكوف الساحرة التى بدأت تكتمل :

ـ « بلغنى أيها الملك السعيد ، أنه كان فـــى قـــديم الزمـــان وسالف العصر والأوان فى مدينة الصين ، رجل خياط مبـــسوط الرزق يحب اللهو والطرب ، وكان يخرج هو وزوجته فى بعض الأحيان يتفرجان على غرائب المنتزهات ، فخرجا يوماً مـــن أول النهار ورجعا آخره إلى منزلهما عنـــد المـــساء ، فوجـــدا فـــى طريقهما رجلاً أحدب رؤيته تضحك الغـــضبان ، وتزيـــل الهـــم والأحزان ، فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتقوزان عليه ثـــم أنهما عزما عليه أن يروح معهما إلى بيتهمـــا لينادمهمـــا تلـــك الليلة ، فأجابهما إلى ذلك ومشى معهما إلـــى البيـــت ، فخـــرج الخياط إلى السوق وكان الليل قد أقبل ، فاشترى ســـمكاً مقليـــاً وخبزاً وليموناً وحلاوة يتحلون بها ، ثم رجع وحط السمك قـــدام الأحدب وجلسوا.................. »

11 ـ يونان وجان ..

واقفة على ضفاف (دجلة) تفكر فى القصة الجديدة ..

كانت فى الليل تحكى بنجاح تام قصتها (الأحدب والخياط) .. وقد راقت لشهريار جدًّا ، وكانت تدرك ذلك من اتساع عينيه وتسارع تنفسه .. الطفل الكبير قاطع الرقاب قد وجد ما يريد ..

لكن كانت هناك ملاحظتان لم تجد لهما تفسيرًا ...

منذ أيام يلاحقها ذلك الرجل . رجل يلبس ثياب العرب فى ذلك الزمن ، لكنه يبدو مختلفًا .. يبدو اجنبيًا أو هو أجنبى فعلاً. كلما نظرت خلفها رأته فى مكان ما ، والأسوأ أنه يتظاهر بأنه لا يراها وأنه موجود بحكم الصدفة .. بالطبع لا يلاحقها فى المخدع ، لكنها استطاعت أن ترى هذه الخرزة الصغيرة المتدلية من الستار فى أعلاه ، وقد فحصتها فأدركت أنها تشبه أجهزة التنصت فعلاً ..

لماذا ؟.. هل يراقبها شهريار ؟.. هل يشك فيها ؟.. إنه لا يثق بأية امرأة ومن الطبيعى أن يشك ، لكن كيف ولماذا يستعين بالتكنولوجيا المتقدمة بدلاً من إرسال أحد البصاصين ؟.. إنه

لا يفهم شيئا فى التقنيات ، والدليل أنه أتلف مشغّل الأقراص بعد ثلاث دقائق ..

ظل هذا السؤال بلا جواب ..

الاحتمال الوحيد هو أن يكون من يراقبهـا هـو نفسـه مـن يتنصت عليها .. ولكن لماذا ؟

كانت قد اعتادت أن ترى المهتمين بألف ليلة وليلـة حولهـا لكنهم لا يضايقونها... قابلت كورساكوف أكثر مـن مـرة فهـز رأسه وواصل الدندنة .. وقابلت جالان يكتب مذكرات .. لكنهم لم يخفوا وجودهم ..

على كل حال لا وقت تضيعه فى هذا الهراء .. إن الأسد جائع وبحاجة إلى قصص ، وعليها أن تبتكر له بعضها بسرعة ...

* * *

كان ذلك الصياد العجوز يحمل شبكته الثقيلة ويتجه للماء ..

قالت عبير لنفسها إن الرجل صياد .. بشرى خير !... الصياد له أهمية بالغة فى ألف ليلة وليلـة ، وعلـى الأرجـح سـوف يستخرج زجاجة فيها جنى أو حذاء قديمًا أو صندوقًا فيه جثة ..

الخ .. المهم أنه سيجد شيئًا مثيرًا ... توشك أن تعتقد أن كل أبطال ألف ليلة وليلة أمراء أو صيادون ..

توارت وراء شجرة وراحت تراقب الموقف ..

كان الصياد قد وجد صيدًا ثقيلاً ، فبدأ فصل من (العجوز والبحر) لهيمنجواى ، وهو يقاوم ويجاهد كى يخرج الشبكة .. ساذج .. الشباك الثقيلة بهذه الدرجة لا تحوى إلا جثثًا على الأرجح ..

بالفعل هى جثة ، لكنها جثة حمار متعفن ...

أطلق الرجل أنينًا وعصر الشبكة ، ثم طرحها من جديد ...

كان يومًا أسود والفشل يتكرر بين زجاجات فارغة وزئر ملىء بالطين .. إلخ ..

المرة الخامسة جعلته يخرج قمقمًا من نحاس أصفر عليه خاتم سيدنا سليمان ... عندما تشترى زجاجة زيت فإن لها شكلاً مميزًا ، وكذلك الخل له شكل مميز .. فى ألف ليلة وليلة هذا هو الشكل المصطلح عليه لزجاجات الجن ...

توارت عبير وقد عرفت ما سيحدث ، فهى رأت فيلم (لص بغداد) ..

الصياد فتح السدادة ، وهكذا انطلق لسان كثيف مـن الـدخان إلى عنان السماء مع ضحكة شمهورشية الطابع .. وبدأ الـدخان يتخذ شكل عملاق / عفريت .. عملاق له ذات الوصـف الـدائم للجن (رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة وأيـد كالمدارى ورجلـين كالـصوارى ، وفـم كالمغـارة ، وأسـنان كالحجارة ، ومناخير كالإبريق ، وعينين كالسراجين) .

احتبس نفس عبير وهى تدرك أن هذا الشىء قـادر علـى أن يراها ويفتك بها .. لتأمل أن يكون مثل الديناصورات لا يهـاجم إلا ما يتحرك ..

قال المارد للصياد بصوت زلزل المكان :

ـ « أبشر أيها الصياد .. »

ابتسم الصياد وتجعد وجهه العجوز ... لقد حان وقت الثـراء إذن ، لكن المارد قال :

ـ « أبشر بقتلك شرّ قتلة ! »

هنا بدأت عبير تتذكر القصة ..

المارد الذى كان يعمل عند سيدنا سليمان وعصاه ، فحبسه فى هذا القمقم .. بعد مئة عام تمنى المارد لو ينقذه أحد ليجعله ثريًا .. بعد مئة أخرى تمنى لو ينقذه أحد ليعطيه كنوز الأرض .. بعد أربعمائة عام تمنى لو ينقذه أحد ليقتله !

بالفعل تمت القصة كما توقعتها :

الصياد فى مأزق ، لكنه يملك الحيلة .. السلاح الوحيد الذى امتلكه الإنسان ومكنه من حكم العالم. هكذا يعرض على العفريت تحديه الشهير :

ـ « لا أصدق أنك كنت بحجمك الهائل ذلك أسير هذا القمقم .. »

العفاريت غبية وسهلة الاستفزاز ..

ـ « أنت رأيتنى أخرج منها .. »

ـ « أعتقد أن الأمر كان يتعلق بلعبة بصرية أو خداع نظر أو تنويم مغناطيسى .. »

قال العفريت من بين أسنانه :

ـ « أنت أحمق تمامًا .. انظر ! »



وهوب !.. غاب داخل القمقم من جديد ، فوثب الصياد ليغلـــق السدادة ويعود هو السيد ..

حمل القمقم إلى البحر وحمل الزجاجة ليرميها وهـــو يقـــول للجنى :

ـ « سألقيك فى البحر.. إن كنت أقمت فيه ألفاً وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث إلى أن تقوم الساعة ، أما قلت لك أبقنى يبقيك الله ولا تقتلنى يقتلك الله ؟ فأبيت قـــولى ومـــا أردت إلا غـــدرى فألقاك الله فى يدى فغدرت بك .. »

توسل له الجنى كثيرًا جدًّا ، لكن الصياد لم يكن بهذه الحماقة .. كلا .. لا يمكن أن يكون بهذه الحماقة أبدًا .. بل هو كذلك !

لقد صدق توسلات الجنى وقسمه الغليظ .. هكذا فتح له القمقم من جديد .

قالت عبير فى نفسها وهى ترى الدخان يحتشد فى السماء:

ـ « ضاع الصياد الأحمق ! »

بالفعل كان الجنى قد ركل القمقم ليغوص فى المحيط .. بمعنى أنه لا رجعة له .. عرف الصياد معنى هذه الخطوة وبلل سراويله

من الرعب .. كان الصراع قويًا بين (العفــو عنــد المقــدرة) و(لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .. انتصرت المقولة الأولى للأسف .. ومن الواضح أن العفاريت لا تحفظ العهد ..

لم يستغرق الأمر وقتًا حتى هرس الجنى الصياد بإصبع قدمــه .. ثم مسح بقاياه فى الرمل ، وحلق فــى الــسماء وهــو يــضحك ضحكته الشمهورشية المجلجلة ..



12 ـ يونان وجان (ما زال صالحًا) ..

لم يكن المشهد محببًا وقد أمضت وقتًا طويلاً شاعرة بـــالتقزز والهلع ..

لا تذكر أن القصة انتهت هذه النهاية المقتـــضبة الأليمـــة .. كانت أطول .. نفس الفـــكرة التى تراودها مع قصـــص جـــيمس بوند . لو كان الشرير أكثر عملية وحصافة لأعدم بوند وانتهـــى الفيلم بعد عشر دقائق ، لكن الحاجة إلى حبكة تجعـــل الـــشرير يربط بوند فى فقاعة معلقة فى الهواء مربوطة بحبل مـــشتعل .. الخ .. هذا يمنح بوند عدة ساعات يفر فيها ..

لا تعرف متى وجدت أنها تمشى فى بلاد يمكنها أن تخمن أنها بلاد الرومان. كانت تعمل مساعدة لطبيب مسن من الطراز الذى يسمونه (نطاسى) . وكان اسم الحكـــيم (رويـــان) .. لمـــاذا رويان ؟.. لأن هذه بلاد الرومان والملك يدعى يونان .. يبدو أن مؤلف القصة من المولعين بالسجع ..

كان الطبيب كأى واحد آخر من أطباء عصره .. يجيد الطـــب والفلك والنباتات والأعشاب .. إلخ ..

كان دورها يتلخص فى أن تخلط له الأعشاب التى يطلبهـا .. وكانت مهنة لا بأس بها ..

إلى أن جاء اليوم الذى قال لها الحكيم فيه :

ــ « أعدى الأدوات والبسى ثيابًا نظيفة لأن الملك يونان يريد لقاءنا ! »

هذا شىء مذهل .. الذهاب للقاء الملك شخـصيًا .. القـصر والهيلمان والعبيد .. كل شىء رائع ما عدا الملك نفسه ... إنـه مصاب بالبرص .. على الأرجح هو الجذام لأن القـدامى كـانوا يخلطون بين المرضين ..

كان بشع المظهر ، وكان يلبس عباءة يسدلها علـى وجهـه معظم الوقت مما يجعله مرعبًا أكثر .. من حـين لآخـر تـرى ضمادات مبللة بالإفرازات أو الدم .. هذا لم يجعل المشهد أفضل ..

فحصه الحكيم على مهل ثم قال له :

ــ « مولاى .. علاجك سهل .. وسوف أفعلها من دون دهان ولا عقاقير .. »

ــ « كيف ؟.. لو فعلتها لأجزلت لك العطاء .. »



أرسل الحكيم (عبير) لتجلب له بعض الأدويـــة ، ثـــم قـــام بخلطها ليصنع منها كرة وصولجانًا ..

ودخل على الملك ليناوله الكرة والصولجان.. ثم انحنى بـــين يديه وقال :

ــ « سوف تمسك بهذين .. وتلعب بـــالكرة طيلـــة اليـــوم .. الهدف هو أن تعرق كفك فيتسرب لها الدواء ويدخل جسمك .. عندما ينتهى اليوم عد للقصر واستحم ، ولسوف تجد أنك شفيت .. »

علاج يبدو مبهرًا ، لكن لابد من تجربته أولاً.. قد يكون مجرد لعب أطفال ..

وهكذا قضى الملك اليوم كله يلعب بالصولجان والكرة .. بـــدأ العرق يخرج من جسده ويبلل كل شىء .. وقد نفـــذ التعليمـــات حرفيًا ، وعند المساء عاد للقصر فاستحم ونام ..

عادت عبير مع الحكيم إلى بيتهما بانتظار الغد . لم يفتهـــا أن تلاحظ أن ذلك الرجل الذى يراقبها كثيرًا موجود هنا أيضًا . لقـــد صارت هذه عادة فيما يبدو .. من هو ؟ وماذا يريد بالضبط ؟

فى الصباح كانت المعجزة ..

أخذ الملك حمامه ثم وقف أمام المرآة ... لا توجد قـروح .. لون الجلد متجانس جميل .. وجهه استعاد قدرته على التعبير ..

لقد شفى تمامًا !.. إن الحكيم رويان عبقرى فعلاً ..

هكذا عومل الحكيم وعبير مساعدته معاملة أفضل الأصـدقاء وفتحت لهما الخزائن .. وطلب الملك من الحكيم أن يكون جليسه وأنيسه طيلة عمره ..

فى كل يوم كان يقدم الهدايا للحكيم ومساعدته .. ويبقيه معه حتى المساء .. وهى معاملة لابد أن توغر النفوس فى النهاية ..

هنا بدأ مجرى الأحداث يتغير ..

* * *

قال الوزير الحقود الذى تشى ملامحه بالشر والحسد (لكـن الملك لا يرى هذا كعادة القصص) :

ـ « أهنئك بالشفاء يا مولاى ... لكن هناك نصيحة أرغب فى أن أقدمها لك .. »

بدا التوتر على الملك ، وارتسم على وجهه ذات التعبير الذى ارتسم على وجه عطيل من قبل عندما زرع ياجو الشك فى نفسه

نحو ديدمونه . يبدو أننى كنت أحمق .. لم أفهم المكيدة التى تدور من وراء ظهرى ..

ـ « إن هذا الحكيم عدو لك .. لكنه قد كشف عن قدراته الخارقة . استطاع شفاءك بكرة فى يدك .. فهو قادر على أن يسممك بشىء تشمه .. إنه قوى جدًا .. »

حك الملك لحيته فى شرود وقال :

ـ « فعلاً .. هو قوى جدًا .. والعمل ؟ »

قال الوزير فى براءة :

ـ « اضرب عنقه .. هذا هو الحل الجذرى الوحيد الذى أعرفه .. »

راح الملك يفكر ، ومن جديد بدت له الفكرة معقولة .. هو لن يحتاج إلى الحكيم مرة أخرى. ثم هو لن يأتى بعمل جديد ، فقد فعلها قبله ملك يدعى سنمار عندما أعدم المهندس الذى بنى له قصرًا منيفًا ، وكانت أسبابه أوهى بالتأكيد : منعه من بناء قصر آخر لواحد آخر... يجب ترك أخلاق العامة التقليدية للعامة ..

عندما جاء الحكيم استقبله الملك مع السياف وقال له ضاحكًا :

ــ « أحضرتك كى اقطع رقبتك ! »

تبادل الحكيم وعبير نظرات الرعب .. هذه هى مشكلة مصادقة علية القوم .. إن مزاجهم نارى وتقلباتهم كثيرة ..

ــ « لماذا ؟.. ماذا فعلت ؟ »

ــ « لأنك جاسوس يبغى قتلى .. »

هكذا يصدق القصة التى جاءت من طرف واحد .. لكن ألـف ليلة وليلة ترى هذا تصرفًا معقولاً ..

ــ « أهذا جزائى بعد ما شفاك الله على يدى ؟ »

ــ « لا مفر من قتلك .. أيها السياف ! »

وقفت عبير تولول .. سوف يقتلون الحكيم .. وبعـدها ربمـا جاء دورها .. لكن على الأرجح سيكتفى الملك بطردها .. مـاذا تفعل ؟.. كيف تنقذ الموقف ؟

دنا منها الحكيم وهمس :

ــ « لا مفر .. إن رقبتى مقطوعة مقطوعة .. فقط يجـب أن تسمعى ما أقول لك وتنفذيه حرفيًا .. »

ثم قال للملك :

ـ « أرجو أن تأذن لمساعدتى بأن تدبر أمورى مـــع أهلـــى وتستنقذ كتبى وأدواتى .. وسوف تأتى لك بكتاب مهم عنـــدى .. كتاب يجب ألا يصل ليد العامة . لهذا الكتاب مزية عجيبة هى أنه لو وضعت رأسى جواره ثم عددت ثلاث صفحات ، وقـــرأت أول سطور فى ثالث صفحة ، فإن الرأس يكلمك ويرد على أسئلتك .. »

ـ « هل تحاول خداعى ؟ »

ـ « أنا ميت .. والميت لا يحاول خداع أحد .. »

صاح الملك فى سرور طالبًا أن يساعدوا (عبير) على إنجاز مهمتها .. لقد تحرك بداخله الطفل الموجود فى كل ملوك ألف ليلـــة وليلة .. لو استطاع لقتل الحكيم الآن لكن الكتاب غير موجود ..

تم الاستعداد لكل شىء ، فأحضر الحكيم الكتاب وطبعًا طلـــب من الملك أن يضع رأسه فيه بعد القطع ..

تم الأمر بسرعة ... السياف بارع حقًّـــا .. لكـــن (عبيـــر) بصراحة لم تعد تتحمل المزيد من الرءوس المقطوعة فى هـــذه القصص ..

أما الملك فوضع الرأس فى الطبق ، وفتح الكتاب .. كانت الصفحات ملتصقة فبلل اصبعه وفتح أول صفحة .. الثانية ملتصقة .. اضطر من جديد لأن يبلل اصبعه ..

ـ « لا توجد كتابة .. »

قالت عبير:

ـ « استمر فى التقليب يا مولاى .. »

بلل الملك إصبعه من جديد .. كان السم الذى استعملته عبير على الصفحات من مادة راتنجية صمغية .. لهذا اضطر الملك إلى وضع إصبعه فى فمه مرارًا.. لقد تلقى جرعة مضاعفة ..

سقط الملك ميتًا جوار رأس الحكيم.. هنا أنشد الرأس :

ـ لو أنصفوا أنصفوا لكن بَغَوْا
فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم
هذا بذاك ولا عتب على الزمن

وعندما غادرت عبير القاعة لم يعترض طريقها أحد .. كان الجميع فى حالة ذهول .. بسبب هذا الانتقام المخيف من رأس مقطوع ..

* * *

الآن كانت قد وصلت فى قصة الأحدب والخيــاط إلــى أخــوة المزين ذوى الحظ العاثر ..

قدرت أنها مع الكثير مــن المــط والتثــاؤب وقــول الــشعر والوصف المبالغ فيه ، قد تستطيع أن تمد القــصة ثلاثــة أيــام أخرى .. بعدها لن تجد زادًا ..

وكان شهريار متحمسًا وعينــاه تلمعــان .. معنــى هــذا أن الأدرينالين يتدفق فى دمه .. مــن الــسهل علــى مــن يتــدفق الأدرينالين فى دمه أن يقطع الرقاب .. لابــد مــن أن تتــصرف بسرعة ولو اعتمدت على رصيدها الضئيل ..

الآن صارت لديها قصتان لا بأس بهما .. لكنها لا تعرف كيف تربطهما .. دعك من تفاهة قصة الصياد والعفريت ، فقد تم القتل قبل أن تبدأ القصة ..

عادت عبير إلى الشط .. شط بركة هــذه المــرة.. وجلــست تراقب مجريات الأمر.. من جديد رأت صيادًا يلقى بشبكة ..

نظرت حولها فتوارى ذلك الذى كان يراقبها فجأة .. نفس الرجــل شبه الأجنبى الذى يتبعها فى كل مكان .. ليس جالان ولا كورساكوف .. ربما هو بيرتون ؟.. إن بيرتون يجيد التنكر كتاجر عربى ، وقــد دخل مكة متنكرًا كتركى من قبل .. لكن لماذا يفعل هذا الآن ؟

تعلمت مما رأته أن مراقبة الصيادين تثمر قصة دائمًا ، لذا انتظرت قرب العجوز .. ثم وجدت أنه من الأفضل أن تجلس جواره ..

لمحها فأحنى رأسه وقال فى احترام واتضاع :

ــ « أنا صياد فقير .. »

ــ « وأنا أبحث عن قصص حتى لا تطير رقبتى .. »

عندما جذب الشبكة كف عن الكلام .. كان المشهد رائعًا لأن الشبكة كانت تحوى أسماكًا ملونة زاهية .. بيضاء وصفراء وحمراء .. ما هذا ؟... هل صارت البركة بحيرة استوائية فجأة ؟

شهق الصياد فى حماسة ، فقالت عبير :

ــ « تحتاج إلى فلتر وموتور هواء .. ربما تحتاج إلى (دوّادة) كذلك لإطعام السمك .. »

قال ضاحكًا :

ــ « لا .. هذا السمك ليس لاستعمالى .. بل هو هدية للملك شخصيًا .. سوف يجزل لى العطاء .. »

وملأ إناء كبيرًا بالماء ووضع فيه السمك ، ثم هرع وهى خلفه إلى قصر الملك ..

لم يكن الملك هو هارون الرشيد وقتها .. على كل حـــال هــو شخص يمكن أن ينبهر بهدية كهذه ، وقد فتح الحراس الطريـــق للوافدين .. ورأى الملك السمك فأطلق صرخة انبهار عظيمة ..

ـ « سمك ..!.. سمك ملون رائع الجمال ! »

قال الصياد فى سرور:

ـ « أظن أنك يا مولاى تنوى جعل هـــذا الـــسمك نـــواة لأول متحف أحياء مائية فى بغداد ! »

ـ « بل سأفعل ما هو أكثر .. »

ـ « ربما سوف تهديه لكلية العلوم ؟ »

ـ « بل سأقليه ! »

طريقة مبتكرة غريبة بعض الشىء للتعبير عن الانبهار .. وقد نظر بعينين ناريتين لعبير وأمرها بأن تأخذ السمك للمطبخ وتتبله وتقليه . لم تجرؤ على الاعتراض أو قول إنها ليست جارية عنده ..

ـ « أعطوا الصياد 400 دينار ! »

اتجهت للمطبخ مغتاظة .. حتى أمها لم تنجح فى جعلها تنظف السمك فى عالم الواقع .. لكنها هنا مضطرة لذلك . بدأت تنظفه من الأحشاء ــ وهى عملية قذرة طبعًا ــ ثم تبلته ووضعته فى وعاء الزيت ..

طش ش ش ش ش !

هنا حدث شىء غريب ..

لقد انشق الجدار فجأة .. حتى خطر لعبير أنها فى قصة سندريلا وأن الجنية الطيبة سوف تبدل بثيابها ثيابًا تناسب الحفل .. سقطت على الأرض وقد فقدت ساقاها تماسكهما ..

ما رأته عبير يخرج من الجدار كان (صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف ، كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح ، لابسة كوفية من خز أزرق وفى أذنيها حلق وفى معاصمها أساور ، وفى أصابعها خواتيم بالفصوص المثمنة وفى يدها قضيب من الخيزران) .

غرست الصبية القضيب فى الزيت وصاحت :



ــ « يا سمك .. يا سمك .. هل أنت على العهد مقيم ؟ »

يبدو أنها تخلط بين هذه القصة وسـنوهوايت حيـث النـداء الشهير (يا مرآتى .. يا مرآتى). المهم أن السمك المقلى أخرج رأسه من الزيت وقال بصوت سمك لا شك فيه :

ــ « نعم .. نعم .. إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا .. »

ثم احترق السمك وتحول إلى فحم ....

وغابت الصبية فى ثقب الجدار من جديد ...

كانت عبير تحاول أن تستجمع روعها عندما رأت الوزير يقف خلفها ويقول :

ــ « الملك ينتظر السمك ! »

حقًا غريب أمر هذا الملك الذى ينتظر السمك المقلـى بهـذه اللهفة ، لكن (عبير) بالتأكيد كانت فى موقـف بالغ السوء .. لا أحد يحرق سمك الملك ما لم يكن مجنونًا أو يريد الانتحار ..

لسبب ما حكت عبير قصتها للملك ، فصدقها .. طلب أن يأتيه الصياد بمزيد من السمك ليكرر التجربة ..

وهنا تمارس ألف ليلة وليلة عنصر التكرار .. ما رأته عبيـر يتكرر بالضبط مع الوزير .. وما رآه الوزير يتكرر مع الملك ..

نفس القصة .. انشقاق الجدار .. الـصبية .. القسـم الـسمكى الغامض ..

هنا كانت القصة قد استحوذت بالكامل على تفكيـر الملـك .. لهذا أحضر الصياد من جديد .. الصياد الذى سئم القـصة كلهـا وتمنى أن يتخلص من هذا كله ..

ــ « لابد أن نرى تلك البركة العجيبة التى تصطاد منها .. »

وفى هذه المرة عاد الصياد إلى البركة كديك مبتـل بالمـاء ، فمن خلفه الملك وجيش كامل مسلح وعبير طبعًا ...

قال فى نفسه إن هذه القصة لن تمر على خير .. هنـاك رأس سيقطع فى هذا اليوم على الأرجح ..



13 ـ سمك ورجل نصف حجرى ..

قال الملك لعبير همسًا حتى لا يسمعه الرجال الذين انتــشروا بين الخيام:

ـ « أريد أن أدور حول هذه المنطقة .. لا أستطيع أن أذهــب بنفسى ، لهذا أرجو أن تذهبى أنت لاستكشاف المكــان .. قلبــى يحدثنى بأن هناك لغزًا فى هذه البركة .. »

ملاحظة ذكية فعلاً... سمك يخرج رأسه ويتكلم ، وهذا يجعـل قلبه يحدثه بأن هناك لغزًا ..

هكذا مضت (عبير) وحدها فى تلك الرحلة .. مــشت كثيــرًا جدًّا وهى تحمل سلاحًا صغيرًا وطعامًا وتحمل مخاوف عديدة .. بالطبع لم يفارقها الشعور بأنها مراقبة .. لقد اعتادت أن تــشعر بتلك النظرات من خلفها .. بالطبع لو التفتت فلــن تجــد شــيئا أو ستجد ذلك الأجنبى الغريب ..

أمضت ليلتها فى الخلاء على شط البركــة .. أشــعلت نــارًا تصطلى بها ، وقدرت أنه لن يحدث لها مكروه .. الأهم هنــا أن تكتمل القصة فلا مجال لظهور سفاح نساء أو غول ..

واصلت السير حتى ظهر اليوم التالى عندما رأت تلك القلعة السوداء ..

دقت الباب العملاق مرارًا ثم عمدت إلى النداء لكن لا إجابة ..

كان الباب مواربًا والإغراء قويًا .. على ما تذكر فإن القصص التى يدخل فيها البطل إلى قلعة الغول ليست ضمن ألف ليلة وليلة .. هكذا دخلت فى حذر والخنجر فى يدها ، عالمة أنها عاجزة تمامًا عن استخدامه ببراعة لو حدث شىء ..

وسط القصر كانت هناك فسقية .. عليها أربعة سباع من الذهب تلقى الماء من أفواهها ..

صوت بكاء .. هذا مؤكد ..

انتصب شعر رأسها فاتجهت نحو مصدر البكاء ..

فى حذر أزاحت ستارًا فرأت سريرًا .. فوق السرير يجلس شاب تنطبق عليه علامات الوسامة فى ألف ليلة وليلة (شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسى خده كترس من عنبر) ..

كان نصفه الأسفل مغطى بالملاءة الموشاة بالذهب .. وكان يمارس عمل الشباب فى ألف ليلة وليلة : يبكى بلا توقف وينشد الشعر ..

قالت له فى دهشة :

ــ « من أنت ؟.. وما سر هذا السمك ؟ »

لم يرد ...

ببطء رهيب أزاح الملاءة عن نصفه السفلى فأشاحت بعينهـــا خجلاً ، لكن ما رأته جعلها تنظر من جديد .. إن النصف السفلى للفتى من حجر ! كأن نصف ميدوسا نظرت له فجمدته ..

قالت عبير لنفسها إن ألف ليلة وليلة تحوى اجزاء مرعبة بالتأكيد ..

اقتربت من الشاب الدامع قليلاً ، فقال :

ــ « لى قصة .... »

ــ « لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر .. أعرف هذا . أرجو أن تكمل .. »

ــ « كنت سلطان هذه المدينة ، فلما توفى أبى تزوجت ابنـــة عمى ... عشنا حياة سعيدة باسمة. حتى جاء يوم نمت فيه على حجر جاريتين من جوارى .. »

ابتلعت عبير ريقها وسألت :

ـ « أنت زوج عاشق وكنت نائمًا على حجر جارية ؟ »

ـ « نعم .. هنا سمعتهن يتكلمن عنى .. يحسبنني نائمًا. كن يحكين كيف أن زوجتى خائنة شريرة وكيف أننى غافل .. إنها تخدرنى بمنوم فى الشراب كل ليلة وتخرج ...

« عندما صحوت جاءت زوجتى المحبة وقدمت لنا العشاء ثم صبت لى كأسًا .. تظاهرت بأننى شربت ما فيه وسكبته فى عبى ، ثم تثاءبت وتظاهرت بالنوم . سمعت زوجتى اللطيفة المخلصة تقول : نم .. ليتك لا تصحو أبدًا ! ثم لبست ثياب الخروج وخرجت .. »

هذا المنظر يتكرر كثيرًا فى الأساطير على كل حال ، وفى الأساطير الإغريقية بالذات ..

عندما تبع الشاب زوجته رآها تتجه إلى قصر خارج المدينة ، فتدخله .. بالداخل كان عبد أسود عملاق يجلس فى انتظارها ، فركعت ولثمت الأرض بين قدميه ..

شعرت عبير بدهشة .. إن العبد الأسود شرير خائن كمعظم قصص ألف ليلة وليلة ، وهى نظرة عنصرية قد تقبلها فى قصص غربية ، لكنها غريبة هنا فعلاً ...

لقد أصيب الشاب بذهول وهو يرى ابنة عمه الرقيقة المخلصة تتوسل لهذا العبد وتقبله مسترضية ، بينما هو يسبها بأغلظ القول لأنها تأخرت عنه .. سلسلة شتائم لو جرؤ هو على استعمال كلمة واحدة منها لطلبت الطلاق ..

سألت عبير الفتى :

ـ « لحظة .. تقول إنها ابنة عمك ؟.. وهى كذلك ساحرة كما هو واضح .. »

ـ « نعم .. وما المشكلة ؟ »

ـ « ما هى الجذور التى أدت بها لهذا ؟.. ما خلفيات شخصيتها ؟ »

ضحك الفتى كثيرًا برغم ألمه وقال :

ـ « دعك من كلام النقاد هذا .. أفعال مبررة وسيكولوجية الشخصية وتاريخها .. نحن فى ألف ليلة وليلة المخصصة أصلاً لإمتاع الخيال الشعبى .. المقاييس النقدية هنا لا وجود لها ..إنها شريرة وكفى.. أشرار ألف ليلة وليلة أشرار من البداية ولا يحملون أى ظل رمادى .. الأخيار كذلك .. »

لما نام الخائنان نهض الشاب ، فحمل سيفه ورفعه وهوى على عنق العبد الأسود .. ثم فر .. هذه هي المشكلة الدائمة. عليك عندما تقتل أحدًا أن تتأكد من أنك فصلت الرأس .. هناك دائمًا من يقدر على توصيل الأنسجة ..

جاء الصباح ومعه عادت ابنة العم إلى بيتها ، لكنها كانت شاحبة دامعة تحيط بعينيها هالات تذكرك بالراكون ، وارتدت السواد ..

قالت لزوجها الذى تظاهر بالدهشة :

ـ « هذا الحداد من أجل أمى التى توفيت الليلة .. وأبى الذى مات فى الجهاد .. وأخوى اللذين مات أحدهما ملسوعًا والآخر رديمًا !.. »

هكذا ببساطة تريد إقناعه أنها فقدت أربعة من أهلها فى ليلة واحدة .. لكنه تظاهر بتصديقها .. والأدهى أنها أرادت أن تبنى ضريحًا للحزن تمضى فيه وقتها .

الحكاية أنها نقلت العبد ـ الذى قامت بتوصيل رقبته بطريقة ما ـ إلى الضريح ، وحولته إلى زومبى تطعمه وتسقيه وتبكى جواره ..

لما عرف الشاب هذا جن جنونه .. وعرفت هى أنه هو الذى قطع عنق العبد حبيبها .. كان انتقامها ســريعًا .. رددت بعـض الكلمات وسرعان ما وجد الفتى أن نصفه السفلى تحول إلى حجر .. لقد صار قعيدًا للأبد بأقسى طريقة ممكنة ..

الآن تخرج ابنة العم الساحرة كل ما كانت تخفيه من شــر .. لقد خرجت كالطوفان الغاضب إلى العالم الخارجى ، فسحرت كل سكان المدينة .. المسلمون ســحرتهم إلــى ســمك أبـيض .. النصارى صاروا سمكًا أزرق .. المجوس صاروا سمكًا أحمر .. اليهود صاروا سمكًا أصفر ... بالطبع لم تــسمح لأحــد بتــرف اختيار اللون الذى يفضله .. لو كانت لهــذه القــصة موعظــة أخلاقية فهي: لا تتزوج ابنة عمك أبدًا .

بعد ما انتهت من هذا ، بدأت تقتبس من الــزملاء الإغريــق بعض الأساليب .. مثلاً اقتبست عقــاب برومثيــوس المتجــدد ، فراحت تجلد الفتى مئة جلدة يوميًا (على نصفه اللحمى العلــوى طبعًا) .

كان الفتى يبكى بلا توقف وهو يحكى هذا لــ (عبير) وتوسل لها أن تنقذه .. وكانت قد فكرت فى خطة معقولة ..

ـ « إن العبد الأسود هناك فى الضريح .. »

آى !.. هذا أسوأ جزء فى القصة .. تقتل إنسانًا وهو أقرب إلى زومبى كذلك .. إن قتل كائن بشع عملية بشعة بدورها ، وكل من جرب قتل برص عملاق عرف هذه الخبرة ..

لكن هذا هو السبيل الوحيد لتحرير الشاب وتحرير سكان البلدة .. هكذا وجدت على الجدار سيفًا معلقًا فحملته . تبًّا .. إنه ثقيل كالخرتيت ..

مضت ماشية وهى تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ..

هناك فى ذلك الضريح كان جالسًا وظهره لها .. دنت منه أكثر .. عملاق مخيف ، ولو كان بكامل لياقته فقد انتهى أمرها .. لكنه كان واهنًا يرتجف ..

عندما صارت على مسافة متر استدار لها ..

كان رأسه بالفعل لا يتصل بجسده إلا بجلد واه ضعيف .. كان يتأرجح ومن حين لآخر يسقط إلى جانب كرأس دمية .. لكن من الواضح أنه كان قادرًا على البلع لأنه كان يحمل كأسًا من الشراب ..

رآها فاتسعت عيناه الواسعتان أصلاً ، واحمرت عيناه وأصدر خنفرة عنيفة .. تذكرت مشهد مواجهة الزومبى فى كــل أفــلام الرعب التى رأتها .. لا يختلف الأمر كثيرًا ، والزمبى مهما كان بطيئًا يلحق بك ويلتهمك مهما فعلت ..

هوت بالسيف على عنقه ولم تعط نفسها فرصة التردد ، ثــم أدارت وجهها بعيدًا كى لا ترى المشهد ... لا . لابد أن تتأكد .. فما فعله الفتى من قبل هو أنه رحل قبل أن يتأكد ...

بصعوبة بالغة جرت الجثة مترين بعيدًا ..

ثم أنها جلست فى مكانه وهى تحاول ألا تلوث قدميها بالدم .. كان الظلام دامسًا والرؤية عسيرة ، وكان قبل موته يضع عباءة على كتفيه العاريتين ، لذا وضعت نفس الغطاء علــى كتفيهــا ، وأدارت ظهرها للجالس ..

تسمع صوت الخطوات الرشيقة .. تشم العطر الفواح . هنــاك من تدنو منها من الخلف ..

راحت عبير تئن وغيرت صوتها ليناسب عملاقًا أسود مقطوع الرأس ..

قالت للساحرة بهذا الصوت الغريب :

ــ « انصرفى عنى يا ملعونة .. لا أريد أن أرى وجهك .. »

جاء صوت الساحرة المذعور:

ــ « ماذا دهاك ؟.. ماذا قارفت فى حقك يا حبيبى ؟ »

ــ « قارفت ؟.. لقد ملأت البلاد بالتعاسة والبؤس ، والنتيجة هى أنهم لا يكفون عن البكاء ويحرموننى النوم .. سكان البلدة وذلك الشاب حجرى القدمين .. هذا كثير فعلاً.. أريدهم أن يخرسوا !! »

ــ « يمكن أن أعالج هذا حالاً .. »

ثم أخرجت قارورة صغيرة من صدرها فعزمت عليها .. واستردت سحرها الذى ألقته على الناس وعلى الفتى .. وفى البركة تحولت الأسماك إلى بشر .. صحيح أن معظمهم ماتوا غرقًا على الفور لأنهم لا يعرفون السباحة ، لكن المبدأ هو المهم ..

ومن محبسه جاء الفتى يتواثب غير مصدق .. كان يحتاج لساعات حتى يزول التنميل فى قدميه لكنه لم يجد وقتًا لهذا الهراء .. صاحت به ابنة عمه الساحرة فى اشمئزاز :

ــ « هيا ارحل ودعنا لا نر وجهك أبدًا ! »

واستدارت لتكمل كلامها ، لكن السيف كان فى طريقه لعنقهـــا .. من المؤسف أنها لم تجد الوقتَ الكافى لتفهم أن (عبير) كانـــت هى التى تلعب دور العبد ..

وعندما سقط الرأس على الأرض عرف أهــل البلـــدة أنهـــم تحرروا ..

لن يحصل الملك على سمك ملون بعد اليوم ..

14- إنهم يسرقون قصصي ..

عندما جلست عبير مع المرشد ترتب القصص التى مرت بها ، كان هناك أكثر من مخطط فى ذهنها ، ودار جدل طويل .. فى النهاية استقرت على التركيب التالى :

1 ــ قصة محورية حول شهريار ودنيا زاد التى تعده بقصة مثيرة جديدة .

2 ــ هنا تبدأ قصة الصياد والعفريت .. سنجرى تعديلاً يقضى بأن يتوسل الصياد للعفريت ألا يقتله حتى لا ينال جزاء الملك يونان ..

3 ــ هكذا يمكن أن نحكى قصة الملك يونان والحكيم .. هنا مغزى أخلاقى يبرر هذه القصة.

4 ــ نعود للصياد والعفريت . الخدعة البارعة للصياد التى تجعل العفريت يتوسل . فى تعديلنا لن يقتل العفريت الصياد ، بل سيصحبه إلى البركة التى يخرج منها سمك ملون .. بهذا دمجنا صيادين معًا .. ومن هنا تبدأ قصة السمك الملون والشاب الذى تحول نصفه السفلى إلى حجر .. بما أن البطولة النسائية غير محببة للذوق الشعبى فى عصر ما قبل (لارا كروفت) ، فلسوف يقوم الملك بالمغامرة كلها وقتل العبد والساحرة .

5 ـ نعود لشهريار ودنيا زاد مع وعد بقصة أخرى .

فرحت عبير بهذا التعديل جدًا وكتبته حتى لا تنساه .. لعلهـــا بشيء من الإطناب تظفر بعشر ليال من السرد. وعنـــدما عـــاد شهريار في المساء وتمدد على الفراش وراح يتجشأ .. دنت منه دنيا زاد التي تحول دورها إلى جهاز تلفزيون ، وبدأت تحكي :

ـ « بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعناً في السن .. وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال .. وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لا غير .. ثم أنه خـــرج يومًا من الأيام في وقت الظهر إلى شاطئ البحر وحط معطفه .. وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت في الماء .... إلخ .. »

* * *

كانت جالسة في المخدع بعد يومين راضية عن نفسها ، عندما سمعت الخطوات المميزة للمرشد .. كان قادمًا يجتـــاز طبقـــات الستائر الكثيفة حتى بلغها فجلس على حافة الفراش ..

كان مرهقًا غارقًا بالعرق وكان يحمل كتيبًا سميكًا في يده ..

على الغلاف رأت عبير الصورة المميزة لشهرزاد وهي تحكي لشهريار قصة جديدة .. لكن العنوان كان بلغة غريبـــة .. كـــان بالعبرية .. بحروفها القبيحة الشبيهة بأرجل العناكب ..

قالت له فى عدم فهم :

ـ « هل ترجموها للعبرية ؟ »

قال لاهثًا وهو يناولها الكتاب :

ـ « ليس بالضبط .. بل قاموا بتأليفها ! »

بدا عليها الغباء .. عم يتكلم بالضبط ؟.. تأليف ما قامت هى بتأليفه ؟.. قال فى إرهاق :

ـ « من عادة إسرائيل أن تنسب كل شىء لنفسها .. بدءًا بأهرام مصر التى يزعمون أنهم بُناتها. كما قال المفكر عبد الوهاب المسيرى إنهم يعلنون فى كل مكان أن الكباب أكلة يهودية .. الكوشير ـ طعامهم الحلال ـ اسم مسروق ومحرف من الكشرى الذى نأكله .. يحاولون إثبات أن لديهم حضارة عريقة ، ولكى يفعلوا هذا يسرقون حضارة راسخة بالفعل. هناك مركز دراسات فى تل أبيب نشر أعمال العبقرى (كامل الكيلانى) على زعم أنه يهودى إسرائيلى . الكيلانى هو من بسط قصص ألف ليلة وهذبها للأطفال ، وهو اسم يفخر به الأدب العربى كله. مؤخرًا صدر كتاب لباحث اسمه د. جمال شاكر البدرى .. اسم الكتاب هو (اليهود وألف ليلة وليلة) . وفى هذا الكتاب يؤكد المؤلف أن ألف ليلة وليلة عمل كتبه اليهود. حجته فى ذلك أن

كتاب ألف ليلة وليلة ظهر فى فتــرة ازدهـــار اليهــود الثقـــافى والاقتصادى أى فى بعض فترات العصر العباسى والفاطمى ! »

هتفت عبير فى دهشة :

ــ « لكن الجو الإسلامى العباسى واضح جدًّا فى ألف ليلة وليلة .. إنها مليئة بالمجون لكنها برغم ذلك معجونـــة بـــالفكر العربـــى والإسلامى .. »

ــ « رأى كذلك أن ألف ليلة وليلة تستعمل لفظة (ملك) أكثر مما تستخدم لفظة (خليفة) أو (أمير المؤمنين) وهذا فى رأيه دليل كاف على يهوديتها !.. وهو يرى أن شـــهرزاد شخـــصية نسائية يهودية بوضوح شديد .. تنقذ بنات جنسها كما أنقـــذتهن أخت زوجة كورش التى طلبت منه عودة بنـــى إســـرائيل إلـــى أورشليم !.. ويرى كذلك أن (شهرزاد) هـــو الاســـم الرمـــزي للبطلة اليهودية (أستير) وشهريار هو اسم (أحشويرش) ! »

هتفت عبير فى ذهول :

ــ « هذا كذب صريح .. »

ــ « لكن هذا لا يقارن بظهور قصصك بالعبرية ، مع مقدمـــة تقول إنها الأصل الذى حاول العرب أن يخفوه .. »

راحت تتذكر . نعم .. ذلك الوجه الأجنبى الذى يلاحقها فى كل مكان ويتنكر كالعرب ..

ـ « هناك جاسوس يتابع مغامراتى كلها ... أنا واثقة من ذلك . بل إن هناك من يتنصّت على قصصى التى أحكيها لشهريار ليلاً .. »

ـ « كل ما كان عليه هو النسخ والتوقيع .. إنه لرجل سعيد الحظ .. »

ثم بدت على وجهه الصرامة والجدية .. وقال لها وهو يطوى الكتاب تحت إبطه :

ـ « سوف تستمرين فى عالم ألف ليلة وليلة لكن عليك أن تضللى الوغد .. وأن تضعى أشياء تثبت أنك صاحبة هذه القصص .. لعبة ملكية فكرية من دون شهر عقارى ولا دار محفوظات .. إن هذا سهل ... »

ـ « لا أراه سهلاً .. كيف ؟ »

فكر قليلاً فى حماسة .. ثم قال بصوت عال :

ـ « لا أعرف ...! »

انتهى بحمد الله الجزء الأول (ليال عربية)

الباقى فى الجزء الثانى (قصة كل ليلة)

نادى المحاربين الجدد

الآن نصل إلى نادى المحاربين الجدد الذين لوحوا برمـــاحهم وأطلقوا صرخة واحدة ، واندفعوا بخيولهم يطاردون الشمس من أجل فانتازيا .. سنابكها تبعثر النقع فى كل مكـــان ، وصـــهيلها يصم الآذان .. المشهد يثير الرهبة والإجلال فى النفس ...

نبدأ اللقاء مع الشعر .. أشعار ناضجة ومحكمة للمترجمة التى لم أعرف أنها شاعرة من قبل (ريهام زكريا) :

سميتك أجمل أحلامى
يا فجرا لاح بأيامى ..
يا قمرا يرسل فضته
ليبدد فى الليل ظلامى
سميتك قطعة موسيقا ..
حملت أنغام الأنغام
لو غاب الشعر عن الدنيا
ستظل ســيقينا مولايــ
عيناك منابع إلهامى
شفتاك نصال من ورد

وأنا اعلنت استسلامى

فدعنى أنهل منها الشهد

برغم عنيف الآلام

ودعنى أهواك فقلبى

مذبوحك من ألفى عام

يارجلا أتعبت الدنيا

يا جرح التاريخ الدامى

يا رجلا يجتاح كيانى

مثل الإعصار المتنامى

من أجلك أعلنت جنونى

وتركت غرامك يغزونى

وكتبت شهادة إعدامى

ما رأيكم ؟... رائعة وأذنها حساسة جدًا ، وصورها وتعبيراتها شعرية فعلاً.. فقط أتحفظ على الوزن فى :

سميتك قطعة موسيقا .. حملت أنغام الأنغام

وأنا اعلنت استسلامى .. فدعنى أنهل منها الشهد

أعتقد أن الوزن اختل ..

قصيدة أخرى ؟.. طبعًا .. لدى الكثير :

هذه قصيدة لها طابع شعر المواعظ والحكم العربــى ، ومــن الواضح فعلاً أنها قرأت الكثير ولهذا ســأعفيها مــن نــصيحتى الأبدية بأن تقرأ أكثر:

لا تفش سرك للبعيد و إن دنا

فالسر إن عم الملا كثر الندم

واحذر بأن تلقى همومــك للذى

لا يستريح من التحدث فى العدم

كم مــرة أفشــيت سرك دونما

قيد ، فعاركت الضــمير ولم تنم

فالسر كنز فى الصــميم مخبــأ

إن صنته صنت الكريم من التهم

أطلق عنان القلب فى أفق اسما

وأرح فؤادك لحظــة مما يهــم

وابعـــث بســـرك للفضـــا

فالكـــون يستر ما يباح بلا قسم

وهذه قصيدة ثالثة .. أعتقد أنها الأخيرة لهذه المرة :

أحـب أمسى وأمسى اليـوم يؤلمنى

وأسـكب الدمـع مدرارا لذكـراه

أقلـب الطـرف فى يومى وأسـأله

ما أبعد اليـوم عـن أمسى و أدنـاه

بالأمـس أمـسى بلا همّ يسـاورنى

يشدو الفؤاد إذا ما الليـل أضـواه

أرنو إلى نجمـة بالليـل أرقبهـا

يهوى لها من نـوى بالليـل مسراه

حمامة الأيك فوق الغصـن باكيـة

أشـكو لها الوجـد مـرا وهى تأبـاه

هـذا الزمـان تجنى أم نحـن نجهله

زاد التغيـر فينـا عمـا ألفنـاه

صديق هـذا الزمـان يمل صحبتنا

الا القليـل متـى نحظى بمـرآه

أين الصـديق الـذى بالأمس نألفـه

أين الصـدوق الـذى فى الحلم نلقـاه

راح الصـديق وراح الصـدق يتبعـه

حل النفـاق وحـب الذات يقفـاه

نشكو الزمان ونشكو جـــور سـطوته
والعيــب فينـــا إن قلنـــا ظلمنـــاه

ريهام فعلاً شاعرة ناضجة .. والأهم أنها مصرة فى عناد على الشعر العمودى الذى يوشك الجميع على تركه. فهى كالقابـضة على الجمر ، ولها تحياتى .

الآن مع المقال الذى يقدمه صديقى محمد بلال من المنصورة .. أرسل لى مجموعة مقالات كبيرة أكتفى منها باثنين :

البحث عن سعاد حسنى

أعشق كل ما ينتمى لزمن (الأبيض والأسود) ، فأنا أعشق أم كلثوم وعبد الحليم وعبد الوهاب ونجاة الصغيرة وحتى(الفيس بريسلى) و(البيتلز) . أحب هذا الزمن حين كانت الشوارع أنظف والأماكن أجمل والمصريون لهم احترام أكبر فى العالم كله وفى مصر،حين كان الموظف يحيا على ما يرام دون أن يعانى شظف العيش والطالب الجامعى مفعم بالآمال لا تراوده ذرة شك أن مستقبله واعد مادام قد التحق بالجامعة مهما كان تخصصه .

هذا العشق جعلنى أشاهد الأفلام القديمة على تفاهتها فقط لأستعيد هذا العصر الحالم الثائر الجميل وأتداخل معه بخيالى لمدة قصيرة هى مدة الفيلم . أهم ما تعلمته من هذه الأفلام أن الحياة الجامعية رائعة حقًّا فحين تبدأ تنتهى المذاكرة وتتحول حياة الشاب الى الاهتمام بالسياسة والحب فقط فأحمد رمزى وشكرى سرحان وحسن يوسف كانوا يمضون الصباح والظهيرة فى المظاهرات ثم فى فترة العصر يرتدون القمصان المفتوحة حتى منتصف بطونهم ويركبون السيارات المكشوفة الجميلة ليطاردوا ـ طبعًا ـ الرائعة سعاد حسنى! ولا تأتى سيرة الدراسة

طوال الفيلم إلا فى لقطة واحدة حين يأتى (سنيد البطــل) لــصديقه بالنتيجة ويقول له : مبروك يا أحمد ... نجحت يا بطل ! وهنا نعود لسعاد حسنى مرة أخرى فتكون الخطوة التالية هى الذهاب لأبيها لطلب يدها ، فإذا ما كان الفيلم حزينًا توجب حينها أن يكون الأب وغدا أصلع له شارب رفيع وجسد بدين ، يرتدى الــروب فــوق البدلة ويدخن السيجار ! ويقول له البطل الفقير : أنا طالب القرب منك يا عمى ! يقول الوغد : معندناش بنات للزواج ! أو : أنــا أزوج ابنتى لهلفوت مثلك ؟! وفى الخلفية نسمع الموسيقى الحزينة ويخرج البطل من بيت حبيبته ليغنى (إن كان عبــد الحلــيم) ! أو(إن كان بطلا غير عبد الحليم) يذهب الى الخمارة ليسكر مع صديقة (سنيد البطل) ويظل يقول : مش عارف أنــساها مــش عارف أنساها وهو يضع الكؤوس الفارغة على المنضدة بعنف ! أما إن كان الفيلم سعيدا فيكون البطل ميسور الحال و حينهــا حــين يذهب لأبى فتاته ليجده مرتديا البدلة فقط بلا روب وشعره أبيض فخم جميل ، يفتح الأب علبة سجائره المعدنية ويعــرض علــى حسين شكرى سيجارة فيرفض حسين شكرى فى أدب ويقــول : لا أدخن يا عمى ! وحينها تنتفخ أوداج الأب ويقــول: عفــارم ! يبدو عليك أنك شاب مهذب وابن ناس ! ويتبادلان الحديث مــن

طراز : أنا مصدقك (بتفخيم الدال جدًا) وضحكات من طـراز : هأ .... هأ .... هأ ! ثم ينتهى الفيلم والبطل يقبل سعاد حسنى قبلة حارة جدا وأنا أحقد عليه جدًا لأنه تـزوج هذه السمراء الرائعة !

أثرت هذه الأفلام فى تفكيرى أثناء مراهقتى الى حـد كبيـر ، ولأننى لا أجيد دور (سنيد البطل) فعندما دخلت الجامعة قررت أن أكون البطل....! وطال البحث عن سعاد حسنى فى قـصص حب فاشلة لأكتشف أن أمثال سعاد حسنى فى الحقيقة لا يصلحن للارتباط والزواج ، كما طال تعاطى السياسة بحماقة لأكتشف أنى أودى بنفسى للهلاك بينما من معى يستغلون السياسة كطريقـة تجعلهم مثيرين فى نظر البنات لا تختلف كثيرا بالنسبة لهم عـن ارتداء سراويل تكشف سراويلهم الداخلية ! كان نتاج هـذا أنـى رسبت سنتين فى الجامعة فلم يأت لى صديقى ليقـول : نجحـت يا بطل ! بل جاءت النتيجة من الإنترنت بما يسمى كارت النتيجة لأجد نتيجتى كرنفال جميل من الدوائر الحمراء مكتوب جوارهـا بخط نسخ متقن : ض.ج ثم كتابة توضيحية فى أسفل الصفحة : ض.ج = ضعيف جدًا ! وهكذا تعلمت أول دروس الواقع القاسى وهى أن الأفلام ليست صادقة أبدًا بل مليئة بـالظواهر المـضللة

والأحلام الجميلة والقيم المغلوطة وأدركت تأثير الإعلام الفادح على أفكار الناس وخاصة المراهقين والشباب .

بعدما كبرت قليلا وقرأت عن الحرب العالمية الثانية قرأت مقولتين لجوبلز (وزير إعلام هتلر) أثارتا انتباهى فالعبقرى جوبلز كان يقول : إذا أردت أن تكذب فاكذب كذبة كبيرة يصعب تصديقها ليصدقها الناس ، أما المقولة الثانية فهى : إننى كلما سمعت كلمة ثقافة أتحسس مسدسى !!! بالطبع كان للإعلام دور كبير جدًا فى كل الحرب سواء فى تضليل الشعوب عن حقائق معينة أو لإضعاف معنويات العدو والأمثلة كثيرة أذكر منها كمثال ما حدث فى حرب 67 فى مصر من تضليل للشعب فى بداية الحرب وما حدث قريبا فى قضية غـزة حينما تم تحويل مشاعر المصريين العدائية تجاه قطر ومنظمة حماس بدلا من الإسرائيلين والحكومات العربية المتخاذلة . هذه الأمثلة تتضح فيها كم هى صحيحة وعبقرية مقولات جوبلز فأنت فى البداية تبعد الشعب عن الثقافة ومن ثم لن يكون له المعرفة الكافية والمنطق المنظم لتفنيد ما يستقبل من معلومات فيتحول للتفكير بأذنية بدلاً من عقله ، بعد ذلك توجهه كقطيع كيفما شئت بالكذب عليه كذبات كبيرة يصدقها العامة بالطبع لأنه يبدو لهم أنه من الحذق والذكاء تصديق كل ما يبدو مستحيلاً كما أن تفكيرهم المشوش وعدم وجود رؤية خاصة للأفراد يجعل من الأسهل لهم أن يصدقوا أى فرقعة

عن أن يبحثوا عن الحقيقة بين ضباب الكذب والإدعاء المتقن جداً والمعمم جدًا حتى يكاد يكون اتجاهًا وطنيًا أو شعارًا . بهذه المنظومة من الكذب المتقن والتدليس يتمكن أى نظام قمعى من توجيه مشاعر الشعب حيث يشاء ليسهل قمعه ، مثلاً لدينا فى مصر استخدم الإعلام منذ الأزل الحيلة القديمة : فرق تسد! ،ففى بدايات القرن كانت لعبة الأحزاب حيث يتم إشعال نار الفتنة بين الأحزاب المختلفة ليتقاتلوا فيما بينهم ويتركوا قضية البلد الأساسية منذ الأزل وهى : الفساد وانعدام الديموقراطية ، بعد ذلك كان الانقسام الى شيوعيون وإخوان مسلمين ثم إخوان مسلمين وأنصار سنة والآن الحيلة المستخدمة هى التعصب الكروى ! نعم فعدد البرامج المهتمة بكرة القدم أكثر من عدد البرامج المهتمة بكل الأشياء الأخرى مجتمعة وهذه البرامج أغلبها لا شاغل له إلا إشعال نار الفتنة بين مشجعى الفرق المختلفة والتهويل من كل حادث تافه وجعله قضية وطنية يتهم البعض فيها بالخيانة و يخرج آخرون يتكلمون عن مصلحة مصر وإعلائها كأن تأهل منتخب مصر لكأس العالم مثلا كفيل بإشباع الجوعى وتسكين المشردين وتشغيل العاطلين !!

* * *



المقال ممتع يا محمد لكنى اضطررت لبتره لأنه طويل جدًّا جدًّا .. لا أحد يتحمل مقالاً بهذا الطول أبدًا ، وما من كاتب يسيطر على مقال بهذا الطول ما لم يكن (هيكل) نفسه . بترت المقال عند ألــف كلمة تقريبًا لكن ما زال الباقى أطول .. هذه هى نصيحتى : أسلوبك ممتع .. أخطاؤك اللغوية قليلة ... أنت ثرثار جدًّا ... لا تهتم بعلامات الترقيم لهذا جملك مرهقة جدًّا تقطع الأنفاس بانتظار نهايتها ..

تعال نر المقال الثانى لك .. طوله معقول (نحو 700 كلمــة) ومن الواضح أن موضوعه حارق حساس .. ويدعى :

كربلاء كرة القدم

من السهل أن نكره الجزائريين ، بل لأول وهلة يبدو ذلك هو المنطقى. هم تمادوا فى التعصب المجنون والعدوانية ، هاجموا المصريين فى السودان والجزائر وفرنسا فى غضب مجنون بينما المصريون ـ كالعادة ـ الشعب يكتفى بالاختباء والحكومة بالشجب والندب وتصريحات من طراز : (عيب كده .... العبوا مع بعض يا ولاد) .. وأسعد الناس بهذه الكراهية هؤلاء الذين يقبعون على الضفة الأخرى محتلين أرض فلسطين مهددين بهدم الأقصى ويرتكبون كل يوم مذبحة جديدة تستحق كراهيتنا وعدواننا ، هؤلاء سعداء فعلا بفرقة جديدة وعداء جديد داخلى بين العرب يؤكد تشتتهم ويشغلهم عن عدوهم الحقيقى المشترك، ومن يقرأ الصحف الاسرائيلية سيرى كم نحن حمقى وكم هم شامتون فى حماقتنا ..

رأيت تسجيلا لشاب مشجع جزائرى يقول فيه إن ما بين مصر والجزائر من ود انتهى وأن هناك ثأرًا للجزائريين المقتولين بمصر، وأنه وأصدقاؤه سيذهبون الى السودان لأخذه وكلهم (صيع)لا أب ولا أم تبكى عليهم ... لهجة الشاب وهو يقول :

(أقسم بالله ستدفعون ثمن ما فعلتم) .. ذكرتنـــى جـدًا بلهجـة المجاهدين الفلسطينين قبل أن يقوموا بعملية استشهادية ، نفس الغضب والحمية والتصميم ، هذا شىء غيـر طبيعـى، نعـم ، الجزائريون متعصبون كرويا جدًا ولكن لا أصدق أن الكرة وحدها هى ما أوصلت الأمور لهذا الانفجار النووى المجنــون ، الكـرة فقط كانت الصاروخ بعيد المدى الذى حمل الـرأس النوويــة ، فرغم كل ما تغير فى أفكار وانتماءات ومشاعر الـشعبين مــن حرب 73 الى الآن ، ليس من الطبيعى أن تكون مـصر عــدوة الجزائر وشعبها وأن يشعر الجزائريون تجاهنا بغـل وكراهيــة كالتى تحمل تجاه الاسرائيليين من أجل مباراة كرة قدم ... هناك رسالة خاطئة وصلت للشعب الجزائرى مدسوســة فــى إعــلام مريض من المرتزقة وربما بطرق أخرى أيضًا لا نعلم عنها شيئًا ، الخلاصة أن الشعب الجزائرى وصلته رسالة أن الشعب المصرى قتل الجزائريين بالقاهرة وروعهم و هاجم اللاعبين ومؤكد أن ما وصل كان مبالغًا فيه بدرجة كبيــرة ومــدروس ، ولأن الــشعب الجزائرى عصبى بطبعه ولأن الشعوب العربيــة عامــة تنخـدع بسهولة لتترك قضاياها الرئيسية وتعادى بعضها ، ولأن المسئولين فى كل من مصر والجزائر لم يكونوا بما يكفى من الـذكاء كــى

يدركوا أن هناك من تلاعب بمشاعر الشعبين ودس السم فى قلوبهم ولم يكونوا من الحنكة أن يستوعبوا الموقف ، كانت النتيجة أن تحولت الساحة الكروية الى كربلاء أخرى ولو أعطى المشجعون سلاحًا لفتكوا ببعضهم البعض ..

فى رأيى الشخصى كرة القدم الآن هى التى تستحق الكره الحقيقى ، وكما قال أحد الصحفيين الرياضيين من القلائل المحترمين : ملعون أبو الكرة التى تفعل بنا ذلك ...

القنوات المصرية والجزائرية استغلت الحدث كمصدر رزق ، طوال الفترة الماضية تذاع الأغانى الوطنية ويتم تعبئة الشعب لموقعة المباراة ، تعبئة لم نشهدها قبلا فى أى حدث مهم وتغطية إعلامية لكل صغيرة وكبيرة لم تحدث يومًا لأجل فلسطين أو العراق أو أفغانستان وكأن وطنيتنا تبدأ وتنتهى عند أقدام مجموعة من الشباب النصف موهوبين وكأن ذهابنا لكأس العالم سيجعل الحياة أفضل لأى فرد من الشعب غير لاعبى كرة القدم الذين سيتقاضون الملايين بينما الشعب كله يرسف فى فقر مدقع ، عندما سمعت أن مكافأة الفوز فى مباراة الجزائر الأخيرة كانت ستة ملايين لكل لاعب ، حمدت الله على الخسارة كى

لا يحترق دمى بمزيد من إهدار المال العــام ، مئــة وعــشرون مليونًا من الجنيهات ... يالهى .. كم مريضًا يمكــن أن يتعــالج بمبلغ مثل هذا ؟ وكم شابًا يمكن أن يتزوج ؟ وكم جائعًا يمكن أن يأكل ؟... إنه الجنون بعينه !

وبالطبع ليس معنى كلامى أنى أنكر حلاوة تشجيع كرة القــدم أو أنى لا أسعد بفوز المنتخب الوطنى مع الملايين ، فقــط أنــا أعرف أن هذه الفرحة فرحة مزيفة شكلاً وموضوعًا ، شكلاً حين تعطى هذا الحجم الضخم لمباراة كرة قدم الخسارة فيها لا تعنــى شيئًا والفوز فيها لن يجعلنا نتقدم فــى أى مجــال حيــوى مــن المجالات التى تحقق رفاهية وسعادة الشعوب ، ومزيفة موضوعًا لأن كرة القدم مهما بلغ الجنون بها ينبغى أن يتوقف عند كونــه جنونًا بلعبة ولا يتحول الى قضية وطنية وقومية ..

ولذا فأنا أحمل مسئولية أحزان هذا الشعب وعصبية الــشعب الآخر إلى أولئك الذين اختصروا وطنيتنــا فــى كــرة القــدم ومشاركتنا السياسية فى كرة القــدم بل اختصروا امكانية النصر والسعادة فى كرة القــدم ، أولئك الذين دمروا الوعى الــسياسى للشعب والشعور الوطنى الحقيقى للشعب حتى وصــلوا به إلــى

مرحلة اليأس من كل شيء آخر وأعطوه كرة القدم ملاذًا أخيرًا للأمل .. ذلك الأمل الذى ينتهى ويبدأ عند صفارة الحكم .. فياله من بؤس وضياع ..

* * *

مقال جميل ومتعقل يا محمد .. أدعوك للاستمرار فى كتابة المقال ، مع الدقة النحوية أكثر .. أرسلت لنا عنوان مدونة يهمك أن نراها وهأنذا أعيد نشرها:

www.mgala.com

وهذه نقطة مناسبة للتوقف عن الكلام المباح .. فإلى لقاء .

د. أحمد خالد



مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة

فانتازيا
مغامرات ممتعة
من أرض الخيال



د. أحمد خالد توفيق

ليالٍ عربية

عندما تطالعين سيرة أى كاتب غربى تقريبًا ، فسوف تعرفين أنه قرأ ألف ليلة وليلة أول ما قرأ .. ونتيجة لهذا قرر أن يصير كاتبًا .

ما حدث هنا هو أن شهرزاد لم تعد موجودة ، والقصص لم تُستكمل .. النتيجة أن معظم الكُتّاب الغربيين لم يكتبوا حرفًا ! .. كيف تحكين قصصًا من الأدب الغربى بينما لا وجـود لها أصلًا ؟ .. أنت كرجل يجاهد لبلوغ سقف بنايـة شامخة ، بينما البنايـة ذاتها لم يعد لها وجود ....

العدد القادم

قصة كل ليلة







الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم